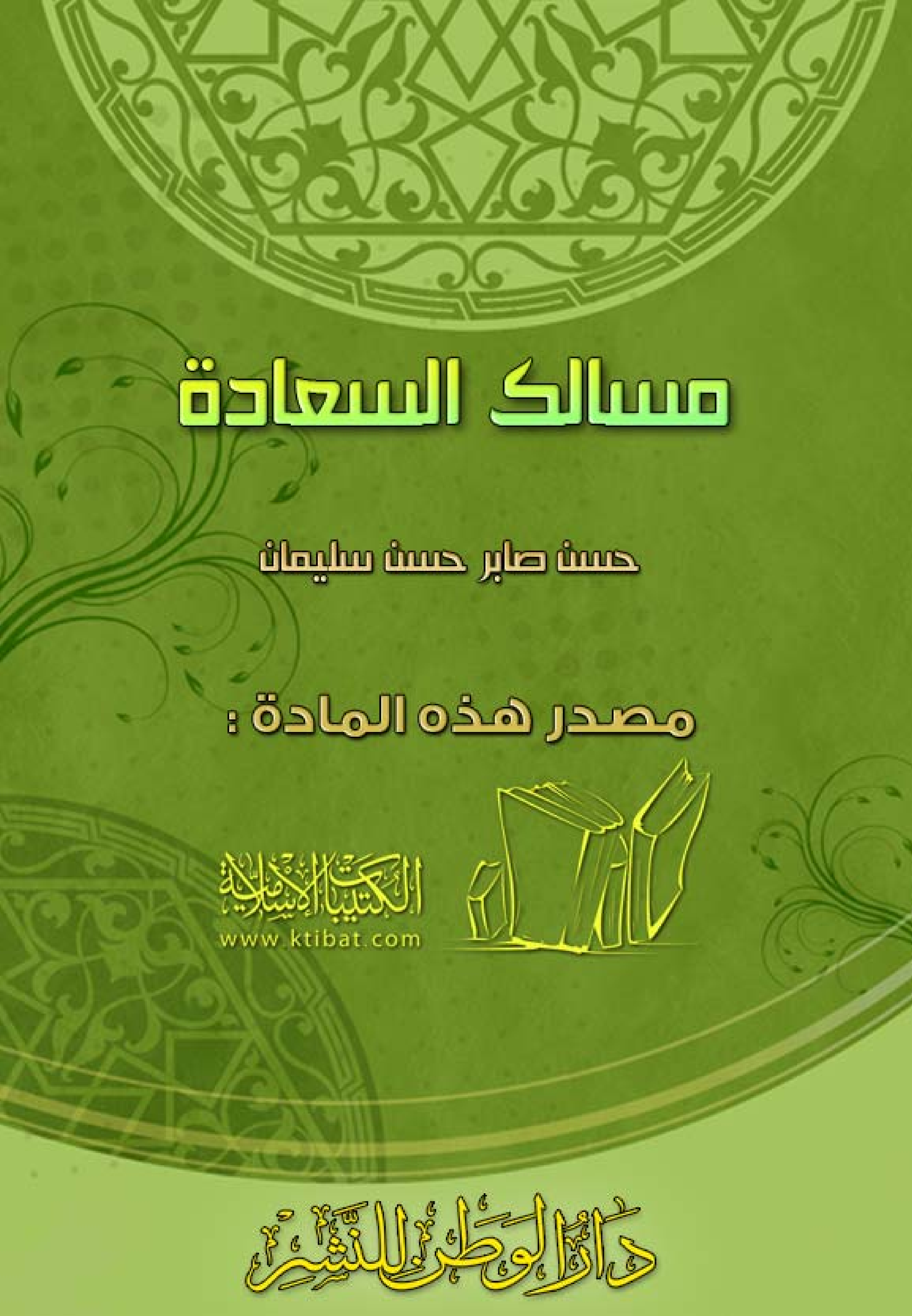

مسالك السعادة
حسن صابر حسن سليمان
مصدر هذه المادة :
الكتيبات الإسلامية
www.ktibat.com
دار الوطن للنشر

## المقدمة

الحمد لله الواحد القهار، العزيز الغفار، الذي أيقظ من اصطفى من خلقه، فأدخله في جملة الأخيار، ووفق من اختار مـــن خلقـــه، فجعله من الأبرار، وبصر من أحبه من خلقه للحقائق، فزهـــدوا في هذه الدار، فاجتهدوا في مرضاته، والتأهب لدار القرار، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

**أما بعد:**

"فإن أصدق الحديث كتاب الله ـــ تعالى ـــ وخير الهدي هدي محمد، ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكـــل بدعـــة ضلالة". وبعد:

فإنني لما نظرت غفلتي عن اكتساب الزاد المبلغ ليـــوم المعـــاد، ورأيت أوقاتي قد ضاعت فيما لا ينفعني في معادي عزمت على جمع ما تيسر من الكتاب والسنة وكلام العلماء والحكماء في بيان أمـــر الدنيا متضمنا أهم الأدوية، والعلاج من القلق النفسي، ممـــا لعلـــه يكون سببا نافعا لي ولإخواني، راجيا الثواب من المولى ـــ سبحانه وتعالى ـــ وحرصت أن يكون العرض والأسلوب مشوقا للقـــارئ، وبعيدا عن السأم في التعبير والترتيب.

فيا أيها القارئ له إن وجدت زللا، فاصفح عنه، فقـــد أبى الله أن يتم إلا ما يسره، وإني لأسأل الله أن يجزي من أعانني على جمع مادته ومن عاون في إخراجه خيرا، وما كان من توفيق فمـــن الله،

ونحمده على ذلك، وما كان من تقصير فمن أنفسنا، ونســـأل الله المغفرة.

أسأل الله العظيم الرؤوف الرحيم رب العرش العظيم أن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

وصلى الله على محمد، وآله وصحبه أجمعين

**المؤلف**

* * * * *

## تقديم

الحمد لله، ثم الحمد لله، على ما يسره لي من تصنيف رسالتي هذه، وقد كان الباعث لها انصراف أكثر الناس إلى الدنيا، وعزوفهم عن الآخرة، حتى تجاوزوا نصيبهم[1] من الدنيا. والله أسأل أن ينفعني وإخواني من المسلمين، وحسبي منهم دعوة صالحة، أو نصيحة صادقة، ولأجل هذا كتبت، لنلتقي في طريق من طرق الخير، ودرب من دروب المحبة، لنلتقي في (مسالك السعادة)، فكل إنسان على وجه البسيطة يسعى إلى السعادة، قد يختلف الناس في مذاهبهم، ومبادئهم وغاياهم، إلا غاية واحدة، إنها طلب السعادة، ولكن كثيرا منهم يخطئ هذه الطريق، وكم من مستقيم ضل عن الطريق، وفاجأه هادم اللذات، فلم يحقق السعادة في الدنيا، ولن يحققها في الآخرة، ومنهم من أصاب كثيرا منها فعاش عيشة هنيئة وحيي حياة طيبة، ومنهم ما هو بين بين، بحسب ما وفق له الله، ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره، فانبعث الكثيرون من غفلتهم، وأحسوا بالتقصير في حق الله، وآخرون سئموا حياة الشقاء وضنك العيش، فتوجهت ركائبهم نادمين على تفريطهم في جنب الله وعصيانهم، وها هم يتلمسون طريقهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم. ولقد تكفل الله لمن التزم بدينه أن يمنحه الحياة السعيدة، الصافية من الأكدار، وأن يؤمنه من الخوف والجزع، وأن يعيش عيشة هنيئة مفعمة بالسكينة والطمأنينة،

---

(١) مما أباح الله من الطيبات.

والراحة النفسية، يقول الحق ـــ تبارك وتعالى ـــ: ﴿**فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [سورة البقرة، الآية: ٣٨].

إن هذه الآية الكريمة تشير إلى مقومات السعادة في الدنيا والآخرة، إنه الالتزام بهذا الدين، وتطبيقه في واقع الحياة، ومجاهدة النفس وتطويعها للاستقامة على منهج الله. فالسعيد هو الذي يتقي الله ربه، ويلتزم هذا الدين، فهو يحصل خيري الدنيا والآخرة.

ولست أرى السعادة جمع مال
ولكن التقي هو السعيد

لقد ظن قوم السعادة في الغنى، ورخاء العيش، ووفرة النعيم، ورفاهية الحياة، لكن البلاد التي ارتفع فيها مستوى المعيشة، وتيسرت لأبنائها مطالب الحياة المادية من مأكل، ومشرب، وملبس، ومسكن، ومركب مع كماليات، لا تزال تشكو من تعاسة الحياة، وتحس بالضيق، والانقباض، وتبحث عن طريق آخر للسعادة، وأكبر شاهد على ذلك واقع الحياة في أوربا على الرغم من التقدم العلمي الذي تعيشه، وإن من مظاهر التعاسة التي تعيشها أوربا تفشي الانتحار، وتفكك الأسر، وتمرد الأبناء على الآباء، وانتشار المخدرات، والمسكرات، واللجوء إليها للتخلص من هموم الدنيا، وواقع الحياة.

إن أوربا لم تصل إلى هذه الحالة إلا لما طرحت الدين جانبا واهتمت بتحقيق مطالب الجسد على حساب الروح، فأظلم قلبها، وضلت الطريق فضيعت الهدف، وتلك نتيجة طبيعية لكل من حاد

عن جادة الصواب، وتنكر لهذا الدين، وما يعيشه كثير من المسلمين اليوم من قلق وهم واكتئاب وكدر وأمراض نفسية وعصبية وأرق في النوم ما هو إلا نتيجة طبيعية للبعد عن هذا الدين، والتعلق بغير الله من هوى وشهوة عاجلة.

فالإنسان مهما توافرت له سبل الراحة والمعيشة فلن يجد لذة الحياة وطيب العيش إلا إذا وثق صلته بالله، وعلق قلبه به، وتمسك بدينه واعتز به، وأقام الصلاة: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [سورة النور، الآيات: ٣٦ – ٣٨].

إن الإنسان بدون الركون إلى الله والتعلق به والالتجاء إليه يصبح حيوانا يتبع غرائزه ويعشق ذاته ويدور حول منفعته، عكس المسلم الصادق الذي ينطلق من تعاليم دينه فيحسب للناس الخير ويكره لهم الشر ويشمر ساعديه في مساعدة بائسهم ويكشف عن ساقيه للإسراع بقضاء حاجات ملهوفهم.

**أخي المسلم:**

إن من أهم ما يتميز به المسلم والمسلمة اللذان تعلق قلباهما بالله وطبقا في حياتهما شرعه وامتثلا أمره تلك الراحة النفسية والاطمئنان القلبي فلا تراهما إلا مبتسمين حتى في أحلك الظروف

وأقسى الحالات، فهما يدركان أن ما أصابهما لم يكن ليخطئهمـــا وأن ما أخطأهما لم يكن ليصيبهما، فلا يتحسران لفوت محبوب ولا يتجهمان لحلول مكروه فربما كان وراء المحبـــوب مكـــروه ووراء المكروه محبوب ﴿**وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَـــى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾.

لا تغرهما زخارف الدنيا وإن كانا لا يتركان نصيبهما منـــها لمعرفتهما أن الدنيا بقصر عمرها وامتلائها بالغصـــص والنكـــد، لا تستحق أن يغضب الإنسان من أجلها ولا أن يتحسر لفوت شـــيء منها فهي لا تساوي شيئا مع الآخرة دار القرار حيث النعيم الأبدي فيما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واقرؤوا إن شئتم: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَـــا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾.

**أخي**:إن لذة الحياة وجمالها وقمة السعادة وكمالها لا تكون إلا في طاعة الله التي لا تكلف الإنسان شيئا سوى الاستقامة على أمـــر الله وسلوك طريقه ليسير الإنسان في الحياة مطمئن الضمير مرتـــاح البال هادئ النفس، دائم البشر، طلق المحيا، يعفو عمن ظلمه ويغفر زلة من أساء إليه، يرحم الصغير ويوقر الكبير. يحب قضاء حاجات الناس ويكون في خدمتهم ، ويتحمل أذاهم ثم لا يفرط في صـــغير ولا كبير من الله، بل يحرص على كل عمل يقربه إليه ويدنيه منـــه فإذا نزلت به المصائب تلقاها بصبر ورضا، وإذا جاء الموت رأى فيه خلاصا من نكد الدنيا ورحلة إلى دار الخلود.

**أخي الحبيب:**

في هذه الصفحات مجموعة إرشادات، وثلة توجيهات عندما تطبقها في واقع حياتك وتحرص على التشبث بها وتندم على فواتها ستنقلب حياتك من شقاء إلى راحة، ومن تعاسة إلى سعادة، بل ستحس للحياة طعما آخر وتنظر لها نظرة أخرى، وقد دفع إلى كتابتها حب الخير وابتغاء الأجر والرغبة في الإصلاح، فإلى تلك المسالك وفقك الله.

* * * * *

## تعريف السعادة

عند أهل اللغة: هي ضد الشقاوة، وأهل التربية وعلماء النفس، يقولون بعبارة موجزة هي: ذلك الشعور المستمر بالطمأنينة والبهجة وراحة القلب وسروره، وهذا الشعور يأتي نتيجة للإحساس الدائم بخيرية الذات وخيرية الحياة، وخيرية المصير، والحياة السعيدة هي الهدف الأسمى لكل إنسان، وقد اختلف الناس في مفهوم السعادة، فمنهم من يرى أنها في المال والجاه والثراء. ومنهم من يراها في صحة البدن، والأمن والاستقرار، ومنهم من يرى أن السعادة تكون في المسكن الواسع والمأكولات اللذيذة والزوجة الصالحة، وبعضهم يرى أن السعادة في الإيمان والعمل الصالح، ولا مانع من دخول ما ذكر في مفهوم السعادة، ويلاحظ أن السعادة تنقسم إلى قسمين: سعادة دنيوية مؤقتة بعمر قصير محدود، وسعادة أخروية دائمة لا

انقطاع لها، وأن السعادة في الدنيا والآخرة إنما هي للمؤمنين المتقين، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [سورة النحل، الآية: ٩٧].

والحياة الطيبة في الدنيا راحة القلب، وطمأنينة النفس، والقناعة برزق الله، وإدراك لذة العبادة، وأعني ما يجده المسلم من راحة النفس، وسعادة القلب، وانشراح الصدر، وسعة البال أثناء العبادة وعقب الانتهاء منها، وهذه اللذة تتفاوت من شخص إلى شخص حسب قوة الإيمان وضعفه.

لقد كان رسول الله، ﷺ ، يقول لبلال ـ رضي الله عنه ـ: «**أرحنا بالصلاة يا بلال**». لما يجده فيها من اللذة والسعادة القلبية، وإطالته، ﷺ ، لصلاة الليل، دليل على ما يجده في الصلاة من الأنس والسرور بمناجاة ربه، والسعادة كلها مجموعة في طاعة الله ورسوله، والشقاوة كلها في معصية الله ورسوله: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٧١]، ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا**﴾ [سورة الأحزاب، الآية: ٣٦].

* * * * *

## أسباب زوال الحزن والاكتئاب

إن ماديات الحياة وزينتها التي بدت وأظهرت مفاتنها بــأبهى مظاهر الزينة قد أغرت النفوس والقلوب فتهافتت سوائدها، وقــد عاد هذا الأمر على واقع القلوب بالهزيمة وسرت في أوصاله أمراض القلوب، حتى عرفنا في دنيانا العقد النفسية، والكبــت والقلــق، والعزلة، وما إلى ذلك من رصيد الأمراض النفسية فــإذا تعــرض القلب لفتن السراء والضراء فلا يثبت إلا أصحاب البصيرة، الــذين عمر الإيمان قلوبهم فاستنارت قلوبهم بنور الإيمان، فأدركــت مــا ينفعها وما يضرها، وانعكست آثاره على الجوارح ، ومعرفته بذلك توجب محبته، فيحصل له من الابتهاج واللذة ما يدفع عنه الكــرب والهم، ويجلب له الفرح والسرور.

فالشخصية الإيمانية إذا أصابها شيء مــن الــوهن والضــعف رجعت إلى الله، والتجأت إليه. ففي ذلك إحساس عميق بالطمأنينة والرضا بما أصابه، لأن عقيدتنا نحن المسلمين في القضاء والقــدر، عندما يعلم الإنسان أن الأمور مفروغ منها، ومكتوبة تمنعنــا مــن اليأس والقنوط، ويجب على المسلمين أن يتمسكوا بســنة نبــيهم، ويعملوا بها، وذلك لأن الله ــ عز وجل ــ يقول: ﴿**وَمَا آتَــاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا**﴾ [سورة الحشر، الآيــة: ٧]. فمن استمسك بهدي الرسول، ﷺ ، فقد فاز فــوزا عظيمــا، ومن أعرض فقد خسر خسرانا مبينا!

والمقصود أن رسول الله، ﷺ ، كان أكمل الخلق في كل صفة

يحصل بها انشراح الصدر واتساع القلب، وقرة العين وحياة الروح، وأكمل الخلق متابعة له أكملهم انشراحا ولذة وقرة عين، وعلى حسب متابعته له ينال العبد من انشراح صدره فهو، ﷺ ، في ذروة الكمال من الشرح ورفع الذكر ووضع الوزر، ولأتباعه من ذلك بحسب نصيبهم من اتباعه، ولهم نصيب من حفظ الله لهم وعصمته إياهم، ودفاعه عنهم، إعزازه لهم، بحسب نصيبهم من المتابعة، فمستقل ومستكثر، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه[1].

يقول بعض المعالجين النفسانيين: إننا نرى بعض الاضطرابات النفسية ليست بسبب عوامل بيولوجية أو اجتماعية بقدر ما هي بسبب الخواء الروحي الذي يحتاج إلى تروية بالمعاني العميقة للإيمان، والمناهج الصحيحة للعبادات، وبمجرد أن يتم علاج هذا الجانب، تتغير حالات هؤلاء المرضى، فهذا الجانب الروحي أهمله المعالجون النفسانيون من المسلمين، فينبغي أن يكون علاج الأمراض النفسية، علاجا يجمع بين الجوانب البيولوجية والنفسية، وبين الجوانب الروحية من جهة أخرى.

* * * * *

(١) اقتباس من الحديث القدسي الطويل المخرَّج في صحيح مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

## الشجاعة

الإنسان الحكيم، هو الذي يتذوق الخلجات الإنسانية المنبثقة من الفرح، والحب، والصفاء، والثراء، والسلام، ليسعد ويعيش بعيدًا عن المنغصات والمكدرات، فالسعادة من صميم هذه الدنيا، والذين يقاسون ويتألمون ما هم إلا الذين انتفت شجاعتهم، وتجسمت مخاوفهم، وأصبحوا يعيشون بأنفاس لاهثة، وعيون جاحظة، وقلوب قانطة، هؤلاء الذين يتخبطون في مصاعبهم، ويعيشون في رعب لا يريم، يجب أن يراجعوا أنفسهم، ويفعلوا ما هو خليق بهم، لكي تتبدل نظرتهم إلى الحياة، ويتغير موقفهم من الحياة، وبذلك يعثرون على الضمانة، فلا يخافون، ولا يرتعشون، ويواجهون الحياة بشجاعة، دون أن تطرف لهم عين، أو يختلج إحساسهم بالخوف، والجزع، ففكر ــ أيها الصديق ــ في السعادة، فكر في مشتقاتها، الفرح، والسرور، والمحبة، والصحة، والسلام... فكر باستمرار لتجد أن لهذا التفكير انعكاسا، وتجاوبا، لا تفكر في المرض، لا تفكر في العجز، ولا تفكر في الوهن.

كل هذه المخاوف أبعدها نحها عن نفسك، وأقم الصرح الشامخ الموطد في قلبك، وإلا كنت كمن يستجلب الشقاء، كنت كالباحث عن حتفه بظلفه، ولكن الشجاعة لا تعني دوام التمني، لأن الأماني لا حدود لها، فهي تتجدد كل ساعة مع التطور الحثيث والإغراق في ابتداع الكماليات. فكن شجاعا لتسعد لأن الخوف يجلب للناس أمراضا نفسية، وجسمانية قتالية. كن شجاعا لأنك

بالشجاعة وحدها تواجه المحن، وبالشجاعة وحدها تتغلب عليها، وبالشجاعة تبلغ وطرك من السعادة.

وفي سجل التاريخ الإسلامي نماذج رائعة في حياة أبطال الإسلام، تشهد لهم بضروب الشجاعة المتعددة، وأولئك الرجال، الذين علت بهم كلمة الله في الأرض، فأعزهم الله بالإسلام، وأعز الإسلام بهم، ولنا في رسول الله، ﷺ ، القدوة الحسنة فقد كان، ﷺ ، أحسن الناس وأشجع الناس[1].

* * * * *

## الاهتمام بعمل اليوم الحاضر

ومن أسباب دفع القلق واشتغال القلب ببعض المكدرات، اجتماع الفكر على الاهتمام بعمل اليوم الحاضر، وقطعه الحزن فيما مضى على الأمور التي لا يمكن ردها، لا استدراكها، كفوات أمر دنيوي، لأن هذه الدنيا لا تساوي شيئا بالنسبة للآخرة، قال عليه الصلاة والسلام: «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بم يرجع**»[2]. وما سميت "الدنيا" بهذا الاسم إلا لدناءتها وهوانها، ولو عرفوا حقيقتها لهانت عليهم. إذ الدنيا وما فيها من المظاهر التي تسلب العقول، وتبهر العيون، وتملك القلوب، أهون على الله ـــ عز وجل ـــ من جناح البعوضة فعندما يفقد شيئا منها لا يحزن الحزن الشديد ويتذكر قول الرسول ـــ ﷺ ـــ: «**لو**

(١) من حديث رواه البخاري ومسلم.
(٢) رواه مسلم في صفة الدنيا والآخرة.

**كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء»**[١]. فانظر هل لجناح البعوضة قدر أو قيمة، بل هل للبعوضة كلها قيمة، ومع هذا فالدنيا لا تعدل جناح هذه البعوضة ولو كان لهذه الدنيا أدنى قدر لمنع الله ــ عز وجل ــ الكافر من شربة الماء من هذه الدنيا، لأن الكافر عدو الله، والعدو لا يعطى شيئا مما له قدر عند المعطي، ولكن لما كانت هذه الدنيا بهذه الحقارة، فقد أعطاها الله ــ عز وجل ــ لهؤلاء الكفار. ولكن **﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾** [سورة الحجر، الآية: ٣]. فينبغي على الإنسان أن يتغلب على الحزن، ولذلك يقول الله ــ سبحانه وتعالى :: **﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾** [سورة الحديد، الآيتان: ٢٢، ٢٣].

فكم من إنسان ابتلى بالقلق وملازمة الأكدار، فحلت به الأمراض المتنوعة، فصار دواؤه الناجع نسيان الذي كدره وأقلقه، واشتغاله بعمل من الأعمال، أو علم من العلوم النافعة فإنها تلهي القلب عن اشتغاله بذلك الأمر الذي أقلقه وربما نسي بسبب تلك الأسباب التي أوجبت له الهم فإن جمع القلب على ذلك يوجب تكميل الأعمال، وأن يجتهد فيما ينفعه في الدين والدنيا، ويسأل الله

(١) رواه الترمذي بسند صحيح.

نجاح مقصده، ويستعين به. قال، ﷺ : «**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزنَّ وإذا أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا، كان كذا، وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»[١]، فجمع، ﷺ ، بين الأمر بالحرص على الأمور النافعة في كل حال، والاستعانة بالله وعدم الانقياد للعجز الذي هو الكسل الضار، وبين الاستسلام للأمور الماضية، ومشاهدة قضاء الله وقدره، وجعل الأمور قسمين: قسم يمكن تحصيله أو تحصيل ما يمكن منه، أو دفعه أو تحقيقه. فهذا يبدي فيه العبد مجهوده، ويستعين بمعبوده، وقسم لا يمكن فيه ذلك فهذا يطمئن له، ويرضى ويسلم، ويسعى في إزالة الأسباب الجالبة للهموم، وذلك بنسيان ما مضى ومجاهدة القلب عن التفكير فيها، وكذلك يجاهد قلبه لما يستقبله مما يتوهمه من فقر، أو خوف، أو غيرها من المكاره التي يتخيلها في مستقبل حياته، ويعلم أن الأمور المستقبلية مجهولة، ما يقع فيها من خير وشر، وآمال، وآلام، إنها بيد العزيز الحكيم، وليس بيد العباد منها إلا السعي في تحصيل خيراتها، ودفع مضراتها، وكان ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ يقول: "إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت لا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك"[٢]. ولا شك أن هذا يدفع الهموم ويهونها ويزيل من شدتها وخصوصا إذا شغل نفسه بمدافعتها بحسب مقدوره مع اعتماده في ذلك على الله وحسن الثقة به، ومتى اعتمد

---

(١) متفق عليه، عند البخاري ١١/٢٧٤، ومسلم: ٢٨٢٢.

(٢) رواه البخاري.

القلب على الله وتوكل عليه ولم يستسلم للأوهام ولا ملكته الخيالات السيئة ووثق بالله وطمع في فضله اندفعت عنه تلك الهموم، وزالت عنه كثير من الأسقام، وتبدل عسره يسرا، وخوفه أمنا. يروى أن أحد الصالحين قد امتلأ صدره ضيقا ونكدا وهما من البلاء الذي هو فيه، وتعذرت عليه الأمور حتى كاد يقنط، فكان يمشي وهو يقول:

**أرى الموت لمن أمسى**
**على الذل له أصلح**

فهتف به هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه قائلا:

**ألا يا أيها المرء الـ**
**ذي الهم به يبرح**
**إذا ضاق بك الأمر**
**ففكر في ألم نشرح**
**فإن العسر مقرون**
**بيسرين فلا تبرح**

قال فواصلت قراءتها في صلاتي فشرح الله صدري، وأزال همي وكربي وسهل أمري[1].

* * * * *

(١) يعني سورة الانشراح.

## تقدير أسوأ الاحتمالات سبب في تخفيف النكبات

والإنسان إذا أصيب بمصيبة فتصورها أكبر مما هي عليه، ثم علم حجمها الحقيقي يطمئن ويرتاح ، فمثلا إذا أصيب رجل ما في حادث سيارة وأغمى عليه، وقد تصور أن كل عائلته قد ماتت في الحادث فعندما يستيقظ يصاب بحزن شديد، ولكن عندما يخبر بأنه لم يمت من أولاده سوى اثنين مثلا فسيقول: الحمد لله. فما حصل لهذا الشخص أنه كان تحت غم شديد، ثم لما اكتشف أن الأمر أهون مما تصوره هانت عليه مصيبته.

فإذا أصيب أحد بمصيبة فعليه أن يقارن مصيبته بالأسوأ حالا، ويتذكر المصيبة الكبرى، وهي وفاة النبي، ﷺ ، فقد روت عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: فتح رسول الله، ﷺ ، بابا بينه وبين الناس أو كشف سترًا فإذا الناس يصلون وراء أبي بكر فحمد الله على ما رأى من حسن حالهم ورجاء أن يخلفه الله بالذي رآهم. فقال: «**أيها الناس أيُّما أحد من الناس أو من المؤمنين أصيب فليتعظ بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري ، فإن أحدا من أمتي لن يصاب بمصيبة أشد عليه من مصيبتي**»[1].

فإذا أصيب أحد بمصيبة ما فعليه أن يتلقى ذلك بطمأنينة ويوطن نفسه على احتمال المكاره، ويعلم أن ما يأتيه هو من عند الله، وأن ذلك وقع من الله ابتلاء ليمتحن صبره ورضاه وشكواه إليه وتضرعه وابتهاله إليه بالدعاء. قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ**

(١) أخرجه ابن ماجة. وفيه موسى بن عبيدة ضعيف.

**مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾** [سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ - ١٥٧].

فلا يأس ولا خوف، ولا قنوط ، بل تسليم واسترجاع، فهذا البلسم الروحي للمشكلات التي تقعد من لا يعرف الله، وتكون سببا في سخطه وزيادة حدة إعراضه، ويعلم الإنسان أن الله ابتلاه في الدنيا رحمة وحمية، لئلا يسكن إليها ويطمئن بها، وأن المصائب قد تكون علامة على محبة الله له قال، ﷺ : «**إن الله إذا أحب قوما ابتلاهم**»[1]، وأن يرغب في النعيم المقيم إلى جواره.

فساقه إلى ذلك بسياط الابتلاء ، فمنعه ليعطيه وابتلاه ليعافيه، وأماته ليحييه، وطوبى لمن يجتهد في طاعة ربه، مقرا بفضله، شاكرا له أنعمه.

* * * * *

(١) رواه أحمد: صحيح الجامع: ١٧٠٢.

## النظر إلى من هو أسفل

عن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ قال: قال رسول الله، ﷺ : «**انظروا إلى من هو أسفل منكم**[١] **ولا تنظـــروا إلى مـــن هـــو فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**»[٢]. وهذا يعني إذا حلت أسباب الخوف، والفقر، والعدم لما يرجوه من المحبوبـــات فإنه ينظر إلى من هو أسوأ حالا منه، فالفقير ينظر إلى من هو أفقـــر منه، فيدرك نعمة الله عليه، وفي الحديث ـــ أيضا ـــ دواء الـــداء، لأن الشخص إذا نظر إلى من هو فوقه لم يأمن أن يؤثر ذلك فيـــه حسدا، ودواؤه أن ينظر إلى من هو أسفل منه، ليكون ذلك داعيا له إلى الشكر. قال عون بن عبد الله: "صحبت الأغنياء فلم أجد أحدا أكبر هما مني، أرى دابة خيرا من دابتي، وثوبا خـــيرا مـــن ثـــوبي، وصحبت الفقراء فاسترحت".

وكلما تأمل الإنسان نعم الله الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية رأى ربه قد أعطاه خيرا كثيرا، ودفع عنه شرورا متعددة، فـــالمؤمن حقا هو الذي يعتز بما آتاه الله من نعمة الهداية إلى الإيمان والتوفيـــق إلى الطاعة، وعليه بالصبر عن التطلع إلى دنيا الآخرين، والاغترار بما ينعمون به من مال وبنين، وبخاصة الطغاة المغرورين منهم، فإن مـــا بأيديهم إنما ظاهره نعمة، وباطنه نقمة، وهذا ما وصف به القـــرآن أهل البصيرة من قوم موسى الذين خرج عليهم قارون في زينتـــه

(١) في متع الحياة وأمور الدنيا.
(٢) رواه البخاري ومسلم.

وفخامة موكبه، فقال الذين يريدون الحياة الدنيا في تمن وتحسر: ﴿**يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾، [سورة القصص، الآية: ٧٩]. أما موقف أهل العلم والإيمان وذوي البصيرة والصبر فقد ورد ذكرهم في قوله ـ تعالى ـ: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ**﴾ [سورة القصص، الآية: ٨٠].

* * * * *

## معرفة الإنسان نفسه

وأعني بذلك أن يعرف الإنسان أنه ملك لله ـــ تعـــالى ـــ أولا وآخرا، والله هو الذي خلقه من عدم، ومنحـــه الحيـــاة والحـــس والحركة، ووهب له السمع والبصر والفؤاد، وأسبغ عليـــه نعمـــه ظاهرة وباطنة، إذا كان لديه صحة وقوة فهي من الله، وإن كان له مال فهو من الله، وإن كان عنده ولد، فهو من الله، وصدق الله إذ يقول: ﴿**وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ**﴾ [سورة النحل، الآية: ٥٣].

فإذا نزل بالمرء نازلٌ سلبه شيئا مما عنده، فإنما استرد صاحب الملك بعض ما وهب، ولا ينبغي للمودع أو المستعير أن يســـخط على المالك إذا استرد يوما من الدهر، وديعته، أو عاريته، وقديما قال لبيب:

**ومـــا المـــال والأهلـــون إلا ودائـــع**
**ولابـــد يومـــا أن تـــرد الودائـــع**

فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية. ومعنى الصبر عليها: ألا يركن إليها، ويعلم أن كل ذلك مستودع عنـــده، وعســـى أن يسترجع على القرب، وألا يرسل نفسه في الفرح بها ولا ينهمك في التنعم، واللذة، واللهو، واللعب، وأن يرعى حقـــوق الله في مالـــه بالإنفاق، وفي بدنه ببذل المعونة، وفي لسانه بالصدق، وكـــذلك في سائر ما أنعم الله به عليه[1]، ويعلم أن المال ظل زائـــل، وعاريـــة

(١) إحياء علوم الدين ـــ جـــ١ ص٦٩ الغزالي.

مستردة، ولا يبالي بمظاهر الأبهة، والزينة التي يتمتع بها أصحاب الثروات منهم: ﴿**أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ**﴾ [سورة المؤمنون، الآيتان: ٥٥، ٥٦].

* * * * *

## الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بالقضاء والقدر يكسب الإنسان المؤمن الكثير من الصفات المحمودة، فالنعمة لا تبطره والمصيبة لا تزعزع إيمانه، لأنه يعلم أن كل ذلك من تقديره وتدبيره ـــ سبحانه وتعالى ـــ ولا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، ولا محيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، خلق الخلق، وأفعالهم، وقدر أرزاقهم، وآجالهم، يهدي من يشاء بحكمته: ﴿**خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾ [سورة الفرقان، الآية: ٢].

وأن الله ـــ تعالى ـــ إذا حكم وقضى أحب أن يُرْضى به، فإنه لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه ، ويروى أن الله ـــ تعالى ـــ قال لداود، عليه السلام: «**يا داود إنك تريد وأريد ، وإنما يكون ما أريد ، فإن سلمت لما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد**». فمن رضي بقضاء الله جرى عليه وكان له أجر، ومن لم يرض بقضاء الله جرى عليه وحبط عمله، والإيمان بالقدر، والرضا بالقضاء هو الذي عصم المسلمين من الآفات التي تصيب أنفس الملاحدة مما يجعلهم إذا أصابتهم مصيبة ضاقت الدنيا في وجوههم، وتخلصوا من دنياهم في حمق ونزق، ولا ترى ذلك بين المسلمين ولنا في رسول الله أسوة حسنة، حيث كان، ﷺ ، يقول: «**آمنت بالقدر خيره وشره وحلوه ومره**»[1].

* * * * *

(١) أخرجه الطبراني في الكبير كما في المجمع: ١ : ٤٠، ٤١.

## الصبر

الصبر أكثر أعمال الإيمان وأعزها، وجعله الله حصنا حصينا لا يهدم، وجندا غالبا لا يهزم، فهو والنصر أخوَان، فالنصر مع الصبر، والفرج مع الكرب، والعسر مع اليسر.

وجعل الله النجاة من النار، والفوز بالجنة لا يحظـى بهـا إلا الصابرون. قال الله ـ عز وجل ـ: ﴿**إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ [سورة المؤمنون، الآية: ١١١]. وأخبر ـ سبحانه وتعالى ـ مؤكدا بالقسم: ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ [سورة العصر].

والصبر يعطي للمسلم فرصة يفكر فيما ينفعـه، ويتـروى في أمره، فلا يقدم إلا على ما هو محقق النفع، وينير له الطريق، ويأخذ بيده إلى أنجح المقاصد، فلا يزال مهتديا مستمرا علـى الصـواب، وتحمل المكاره بنفس المؤمن المطمئنة، راضيا بقضاء الله، وتلك نعمة كبرى.

**أخي العزيز:**

تذكر وأنت تلاقي المكاره وتتقلب من شدة إلى شدة، ويمسُّك ما حل بك من الكروب والمحن: ﴿**إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [سورة يوسف، الآية: ٩٠]. ولو فتشـت في بلاد العالم مدنًا وقرى بل وبيوتًا ، لما وجدت فيها أحدا خاليـا من البلاء على اختلاف أنواع البلايا، وأن في ذلـك مصـلحة لا

يعلمها إلا الله، وأن أمر الرضا والصبر على البلاء من الأمور الـتي رفع من شأنها الإسلام ومدح أهلها، وأن لله على العبد عبودية في عافيته وفي بلائه، فعليه أن يحسن صحبة العافية بالشكر، وصحبة البلاء بالصبر، وذلك بتلقي المحاب والمسار بقبول لها وشكر عليها، وبتلقي المكاره بالصبر الجميل واحتساب الأجر والثواب عند الله ـ تعالى ، كما عبر رسول الله، ﷺ ، عن هذا في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: «**عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**»[1].

فخير عيش أدركه السعداء بصبرهم، وترقوا إلى أعلى المراتب بشكرهم.

* * * * *

(١) رواه مسلم.

## التداوي

إن الطبيب النفسي (المسلم) يستخدم كل الأساليب السابق ذكرها، ويقول للمريض: إن مرضك وحالتك معروفة، ومثلك كثير، وهناك من هو أشد منك بلاء وأسوأ حالا، وهذا المرض له علاج فيرتاح المريض من كلام الطبيب، والمتأمل في النصوص الشرعية التي وردت في التداوي لا يجد أي تعارض بين العلاج والاستشفاء بالرقية الشرعية: "وهي التي تكون بالآيات القرآنية، والأذكار الواردة، والثابتة في السنة، وغيرها مما ليس فيه شرك". وبين العلاج بالأسباب المادية: "كالأدوية، والكهرباء، وغير ذلك".

وحض الإسلام على التداوي وأمر، ﷺ ، بالتداوي فقال: **«تداووا يا عباد الله فإن الله لم يضع داء إلا ووضع له داء غير داء واحد، الهرم»**(١). وفي الصحيحين عن أبي هريرة.

قال: قال رسول الله ــ ﷺ ــ: **«ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له شفاء»**(٢).

وقال، ﷺ : **«لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله ــ عز وجل ــ»**(٣). فإن ارتباط المسببات بالأسباب من سنة الله في خلقه، بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرا وشرعا، ونحن نعلم أن

(١) رواه أحمد والحاكم: صحيح الجامع رقم: (٢٩٣٠).
(٢) أخرجه البخاري: ١١٣/١٠ في الطب.
(٣) رواه أحمد والحاكم صحيح الجامع رقم (٥١٦٤).

الرجل لو قال: أنا مؤمن بقدر الله، وسيرزقني الله ولدا بدون زوجة، لو قال هذا لعد من المجانين!! كما أنه لو قال أنا أؤمن بقدر الله، ولن أسعى في طلب الرزق، ثم لم يتخذ أي سبب للرزق لعد ذلك من السفه!! فالإيمان بالقدر لا ينافي الأسباب الشرعية أو الحسية، وليس من التوكل ترك الأسباب كترك العمل وكسب الرزق، أو ترك التداوي والعلاج من المرض. إنما التوكل أن تأخذ بالأسباب، وعليك أن تتوكل بقلبك على خالقك في النتائج.

وفي قوله، ﷺ : «**لكل داء دواء**». تقوية لنفس المريض والطبيب، وحث على طلب ذلك الدواء، والتفتيش عليه، فإن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله، تعلق قلبه بروح الرجاء، وبردت عنه حرارة اليأس، وانفتح له باب الرجاء، ومتى قويت نفسه، انبعثت حرارته الغريزية، وكان ذلك سببا لقوة الأرواح الحيوانية، والنفسانية، والطبيعية، ومتى قويت هذه الأرواح قويت القوى التي هي حاملة لها، فقهرت المرض ودفعته.

وكذلك الطبيب، إذا علم أن لهذا الداء دواء أمكنه طلبه والتفتيش عليه، فإن علمه الطبيب واستعمله، وصادف داء المريض أبرأه بإذن الله ـــ تعالى ـــ.

* * * * *

# العلاج الديني

العلاج الديني يبدو مفيدًا في بث الطمأنينة، وزرع الثقة بالنفس، وتقوية شخصية الإنسان المؤمن الذي لا يكون نهبًا للقلق ولا تساوره الشكوك، والوساوس، وأساليب العلاج الدينية كثيرة، وكلها مستمدة من أنواع العبادات التي أمر الله عباده بالالتجاء إليها، مثل الدعاء والإحسان، والخوف والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والعلاج بالرقى: وهي القراءة والنفث بالآيات والأذكار الواردة والثابتة في الكتاب والسنة، مما ليس فيه شرك، وأما ما يزيده بعض الناس من ضرب، وخنق وغير ذلك، فليس له سند في الشرع.

* * * * *

## الإقبال على القرآن

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس، الآية: ٥٧].

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾، [سورة فصلت، الآية: ٤٤]. فليقرأه المسلم وليستشفي به، ويعمل بما فيه لينعم بالراحة النفسية والطمأنينة القلبية.

قال أحد العلماء العالمين: القرآن كلام ربي، وإنني لأستحيي أن يمر علي يوم لا أنظر إلى كلام ربي، فهذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وينذر من كان حيا، لأن تلك الآيات تنزل بردا وسلاما على قلب المؤمن، فلا تعصف به رياح الفتنة، ويرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام من الكفار والمنافقين، ويزود المسلم بالتصورات، والقيم الصحيحة، التي يستطيع من خلالها أن يقوم بالأوضاع من حوله، والموازين التي تهيئ له الحكم على الأمور فلا يضطرب حكمه، ولا تناقض أقواله أفعاله، فهو حبل الله المتين، والنور المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من تمسك به عصمه الله، ومن اتبعه أنجاه الله، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم. سائلين الله أن يساعدنا على الاهتداء والاستقامة على صراطه، فهو الهدى، والضياء، والعلاج، والشفاء للناس عامة، والمؤمنين خاصة، وما ذاك إلا أنه: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [سورة فصلت، الآية: ٤٢].

فكـــن تاليـــا آي الكتـــاب مـــداويا
بهـــا كـــل داء فهـــي أرجـــى دوائـــه
فمنـــه ينـــابيع العلـــوم تفجـــرت
وما فاض من علـــم فمـــن عـــذب مائـــه
هـــدى وشـــفاء للقلـــوب ورحمـــة
مـــن الله يشـــفي ذو العمـــى بشـــفائه

* * * * *

## الصلاة والسلام على سيد الأنام

وهي من أنجح الأعمال وأرجح الأقوال، وأزكى الأحوال، وأحظى القربات، وأعم البركات، والمحافظ عليها تكفيه همه، وتعينه على قضاء حوائجه، ونجاح مقاصده، قال، ﷺ : «**إن الله ـ تعالى ـ قال: من عادى لي وليا** [١] **فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب مما افترضت عليه، وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني أعطيته ولئن استعاذني لأعيذنه**»[٢].

* * * * *

(١) الوليّ ـ القريب من الله باتباع أوامره واجتناب نواهيه.
(٢) رواه البخاري ـ ١١/٢٩٢ – ٢٩٧.

## صلاة الضحى

صلاة الضحى وأقلها ركعتان إلى ثماني ركعات، ووقتـــها إذا حلت الصلاة النافلة إلى الزوال. فقد جاء عن رسول الله، ﷺ ، أنها سبب لبقاء النعمة وسعة الرزق، وحفظ الصحة، وهي صلاة الشكر على العافية، وتدفع عن صاحبها بلاء يومه ذلك.

* * * * *

## الصدقة

فقد جاء أنها تبارك في المال، وتحفظه من المصائب، وتزيـــد في الرزق، وتبارك في العمر، وتجلب الصحة، وهي درع قوي يحفـــظ من عاديات الدهر، وحوادث الزمان، ومن سارع بتقديمها كانـــت حصنا عظيما من شر ذلك اليوم لأن البلاء لا يتخطاها.

* * * * *

## الدعاء

ومنه ما يكون وقائيا، ومنه ما يكون علاجيا، الدعاء الوقائي: «**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال**»(١).

ومن الدعاء العلاجي: ما صح عن رسول الله، ﷺ ، أنه قال: «**ما أصاب عبدا هم ولا حزن فقال: اللهم إني عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن الكريم ربيع قلبي ونور صدري وجلاء حزني وذهاب همي: إلا أذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحا**»(٢).

**دعاء لتفريج الهم والغم:**

ولفظه أن النبي، ﷺ ، قال: «**يا علي ألا أعلمك دعاء إذا أصابك غم أو هم تدعو به ربك فيستجاب لك بإذن الله ويفرج عنك: توضأ وصلِّ ركعتين واحمد الله وأثن عليه وصلِّ على نبيك ، واستغفر لنفسك وللمؤمنين والمؤمنات، ثم قل: اللهم أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، لا إله إلا الله العلي العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ، الحمد لله رب العالمين، اللهم**

(١) مسلم ٤/٢٠٧٩.
(٢) البخاري ومسلم.

**كاشف الغم مفرج الهم، مجيب دعوة المضطرين إذا دعوك رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ، فارحمني في حاجتي هـــذه بقضـــائها ونجاحها رحمة تغنيني بها عن رحمة من سواك»**[١]. فإذا لهج الإنسان بهذه الأدعية بقلب حاضر ونية صادقة، مع اجتهاده فيمـــا يحقـــق ذلك، حقق الله له ما دعاه ورجاه وعمل له، وانقلب همـــه فرحـــا وسرورا قال، ﷺ : «**إنَّ ربكم حيي كريم يستحي من عبـــده أن يرفع إليه يده فيردها صفرا**»[٢].

وقبل نهاية الحديث عن العلاج الديني، نقول وبالله التوفيق: إنه من ابتعد عن دين الله وارتكب المعاصي وظلم نفسه أظلـــم قلبـــه واختل فكره. وإن في القرآن الكريم والسنة الوقائية والعلاج لحالات الحزن والاكتئاب وخاصة ما كان منها لأسباب خارجية، وهذا من رحمة الله ــ سبحانه وتعالى ــ بعباده إذ إنه ــ سبحانه ــ جعـــل القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين، وما عليهم سوى العودة إليـــه وإلى سنة المصطفى، ﷺ ، ليفوزوا بسعادة وراحة الدارين.

* * * * *

---

(١) رواه الأصبهاني من حديث أنس ــ رضي الله عنه ــ.

(٢) سنن الترمذي: ٢٧٦٦.

## التجافي عن الدنيا

**﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُـــرَّنَّكُمْ بِاللَّـــهِ الْغَـــرُورُ﴾**. [سورة لقمان، الآية: ٣٣].

فلتكن الدنيا لكم معبرا للآخرة، ولا تجعلوها همكم، وتركنــوا إليها وهي الفانية، وتعرضوا عن الآخرة وهي الباقية، فــإن الــدنيا ليست بدار إقامة، وإنما نزل آدم إليها عقوبة فاحذروها. احــذروا هذه الدار الغرارة، الخيالية التي قد تزينت بخدعها وفتنت بغرورها، وخيلت بآمالها وشوقت لخطابها، فأصبحت كــالعروس المجلــوة، فالعيون إليها ناظرة، والقلوب عليها واهلة، والنفوس لها عاشــقة، وهي لأزواجها كلهم قاتلة، فلا الباقي بالماضي معتبر، ولا بــالأول مزدجر، والعارف بالله حين أخبر عنها مدكر، وإن صاحب الــدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه، أمانيها كاذبــة، وآمالها باطلة، وصفوها كدر، وعيشها نكد، وقد حقر الله ــ عــز وجل ــ الدنيا بالنسبة للآخرة إلى ما أعده الله وادخــره لعبــاده الصالحين، فقال ــ تعالى ــ: **﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾** [سورة النساء، الآية: ٧٧]. قال الحسن ــ رحمه الله: "رحم الله عبدا صحبها على حسب ذلك" يعني أن متاعها قليل.

وضرب الله ــ عز وجل ــ للدنيا عدة أمثلة في القرآن الكريم لبيان هوان أمرها وحقارة شأنها، في أبلغ وصف وأدق تصوير، فمن ذلك قوله ــ تعالى ــ: **﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا**

**أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾** [سورة يونس، الآية: ٢٤].

ففي هذه الآية الكريمة ضرب الله ــ تبارك وتعالى ــ مثلا لزهرة الحياة الدنيا وزينتها، وسرعة انقضائها وزوالها بالنبات الذي أخرجه الله ــ عز وجل ــ من الأرض بماء أنزل من السماء مما يأكل الناس من زروع وثمار على اختلاف أنواعها، وأصنافها، وما تأكل الأنعام من أبٍّ وقضب، وغير ذلك: ﴿**حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا**﴾. أي زينتها الفانية ﴿**وَازَّيَّنَتْ**﴾. أي حسنت بما خرج في رباها من زهور نضرة مختلفة الأشكال والألوان ﴿**وَظَنَّ أَهْلُهَا**﴾ الذين زرعوها وغرسوها ﴿**أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا**﴾. أي على جزازها وحصادها، فبينما هم كذلك، إذ جاءتها صاعقة، أو ريح شديدة باردة، فأيبست أوراقها، وأتلفت ثمارها، ولهذا قال ــ تعالى ــ: ﴿**أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا**﴾. أي كأنها ما كانت حينا قبل ذلك ﴿**كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ**﴾. أي نبين الحجج والأدلة، ﴿**لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾. فيعتبرون بهذا المثل، وتفلتها عنهم فإن من طبعها الهرب ممن طلبها، والطلب لمن هرب منها.

وقال بعضهم ــ الدنيا مثل إناء مملوء عسلا رأته الذباب فأقبلت نحوه، فبعضها قعد على حافة الإناء، وجعل يتناول من العسل، حتى أخذ حاجته وطار، وبعضها حمله الشره إلى أن رمى بنفسه في لجة الإناء ووسطه، فلم يدعه انغماسه فيه أن يهنأ إلا قليلا حتى هلك في وسطه، إن هذه الدنيا خضرة حلوة، تميل النفس إليها،

والجاهل بعاقبتها يتنافس في تحصيلها غافلا عن آخرته، ناسيا، أو متجاهلا أن هذه الدنيا فانية زائلة، مثلها مثل طعام ابن آدم الذين أحسن صنعه، وكثرت ألوانه وأصنافه، وهو مع طيبه ونعومته، قد استحال إلى الغائط والبول، وهكذا الدنيا.

واعلم يا أخي المسلم أن النبي، ﷺ ، قال: «**إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه، ويصل فيه رحمه، ويعمل فيه حقا، فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله تعالى ـ علما ولم يرزقه مالا فهو صادق النية، يقول: لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما، يخبط في ماله بغير علم، ولا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعمل لله فيه حقا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول: لو أن لي مالا لعملت فيه بعمل فلان فهو بينته، فوزرهما سواء**»[1]. ولا شك أن المسلم إن أراد النجاة والفوز بالآخرة فعليه أن يجعل عمله خالصا لوجه الله، وأن يجعل نيته طلب الآخرة، ويعزف عن طلب الدنيا لأنه إن أراد غير ذلك فسيتمتع في هذه الدنيا الفانية ويخسر آخرته الباقية.

فاحرص يا أخي على ما يصلح دنياك ولا يضر آخرتك، واحذر أن تقع فيما يبطل عملك من شرك أو رياء أو غير ذلك، واطلب العون والتوفيق دائما من الله، واعلم أن من جعل همه الآخرة وفقه الله وجاءته الدنيا وهي راغمة، وأما من جعل همه

(١) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

الدنيا شتَّت الله أمره و لم يؤته في الدنيا إلا ما كتب له: ﴿**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾. [سورة هود، الآيتان: ١٥، ١٦]. فانظر ماذا أخرجت هؤلاء من أجر، وأفسدت عملهم، وجعلتهم أول الداخلين إلى النار، وأن عاشقها، ومحبها من أسفه الناس، وأقلهم عقلا، فهو يعذب في الدنيا بتحصيلها، ومنازعة أهلها، وهو أشد عذابا في قبره، ويوم لقاء ربه، وهنا قصة عجيبة لابن حجر العسقلاني ـــ رحمه الله ـــ خرج ابن حجر، يوما وكان رئيس القضاء بمصر. فإذا برجل يهودي في حالة رثة فقال اليهودي قف: فوقف ابن حجر، فقال له: كيف تفسر قول رسولكم: «**الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر**»[1]، وها أنت تراني في حالة رثة، وأنا كافر، وأنت في نعيم وأبهة مع أنك مؤمن؟! فقال ابن حجر: أنت مع تعاستك وبؤسك تعد في جنة لما ينتظرك في الآخرة من عذاب أليم، إن مت كافرا، وأنا مع هذه الأبهة: إن أدخلني الله الجنة، فهذا النعيم الدنيوي يعد سجنا بالمقارنة مع النعيم الذي ينتظرني في الجنات. فقال: أكذلك؟! قال: نعم. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله.

فيا من هو على محبة الدنيا متهالك، أما علمت أنك عن قليل هالك ، أما تيقنت أن الدنيا محبوب تارك. فأعرض عنها بقلبك قبل

---

(١) رواه مسلم.

أن تعرض عنك، واستبدل خيرا منها قبل أن تستبدل بـــك فـــإن نعيمها متحول، وأحوالها متقلبة، ولذاتها فانية، واعمل بقية عمـــرك في أيام قصار لأيام طوال، واخرج منها خروج الأحرار، قبـــل أن تخرج منها على الاضطرار.

* * * * *

## القناعة بالقليل

لما كانت هذه الدنيا هي الممر والمعبر إلى الآخرة، وجب التزود منها بالقدر الذي يصل به الإنسان إلى الآخرة، ولذلك وجب على المرء أن يقنع بما آتاه الله ـــ عز وجل ـــ وليعلم أن الغنى إنما هو غنى النفس، وليس كثرة المال والمتاع، كما قال النبي، ﷺ : «**ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غنى النفس**»[1]. وذلك لأن كثيرا ممن وسع الله عليه في المال لا يقنع بما أوتي فهو يجتهد في الازديـــاد لغير حاجة، ويلح في الطلب، ويلحف في السؤال، ولا يبالي من أين يأتيه أمن الحلال أم من الحرام!!

ثم إذا فاته المطلوب حزن وأسف، فكأنه فقير لشدة حرصـــه، لكن المتصف بغنى النفس يكون قانعا بما رزقه الله، ولا يحرص على الازدياد لغير حاجة، استغنى بما أوتي وقنع به، ورضي وعلـــم بـــأن الذي عند الله خير وأبقى، وقد حكم النبي ﷺ بالفلاح في الـــدنيا والفوز في الآخرة للمسلم الذي رزق حلالا بقدر الحاجة وقنع به، فقال عليه الصلاة والسلام: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنَّعه**

(١) متفق عليه.

**الله بما آتاه»**[١]. وكان، ﷺ ، زاهدا في الدنيا، وحذر أصحابه منها، فعن ابن عمر ـــ رضي الله عنه ـــ قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل**»[٢]. وقال عبد الله بن مسعود نام الرسول، ﷺ ، على حصير فقام وقد أثر في جنبه. فقلنا يا رسول الله: لو اتخذت لك وطاء؟ فقال، ﷺ : «**مالي وللدنيا ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها**»[٣].

وإن الذي نجد بيانه في غير موضع من القرآن الكريم أن الدار الآخرة هي دار القرار، وهي دار الحيوان أي المقام الأبدي لحياة الإنسان، وأننا ما بعثنا في هذه الدنيا الفانية إلا للاختبار، من منا يثبت نفسه أهلا لوراثة جنة الله ونعيمها مستخدما ما أدني في هذه الدنيا من المتاع القليل والتصرفات المحدودة والفرص الضيقة؟ ليس اختبارنا في هذه الدنيا في إبراز مهاراتنا في تسيير الصناعات والتجارات ولا في إحداث مدنية راقية رائعة، وإنما هو في أداء حق خلافة الله في ودائعه، والزهد في الدنيا طريق المؤمنين، وسبيل العابدين ، وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، وأن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أصبت بها أرغب منك فيها لو لم تصبك، وليس المقصود من الترهيب في الدنيا العزوف عنها، ولبس المرقعات

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخاري، والترمذي.
(٣) روه الترمذي وقال حديث حسن.

والاعتكاف عن الخلق وأكل الخشن من الطعام، لكـــن للإســـلام مفهوما للزهد، فالإسلام دعا إلى العمل وحث على الجمال، وأباح المزاح البريء والترويح عن النفس، والضــرب في الأرض حســب المعيار الإلهي. فلتكن الدنيا في يدك لتستعين بها على طاعة الله، ولا تجعلها في قلبك فيقسو، واعلم أخي المسلم ـــ رحمني الله وإياك ـــ أنه، ﷺ ، قال: «**من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليـــه أمـــره، وفرق عليه ضيعته، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلى ما كتب له، ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه ضيعته، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة**»[١].

ولا ينبغي أن نحرم ما أحل الله لنا من الطيبات بدعوى الزهد، فكم ضل أقوام من تلك الفتنة الشيطانية فحرموا ما أحـــل الله، ثم ادعوا زورا وبهتانا بأنهم ما فعلوا ذلك إلا ليكونوا من الزاهـــدين، قال، عليه الصلاة والسلام: «**هلك المتنطعون**[٢] **قالها ثلاثا**»[٣]. وقد يسمع بعضهم ذم الدنيا في القرآن المجيد والأحاديث فيرى أن النجاة من الدنيا تركها، ولا يدري ما الدنيا المذمومة فيخرج على وجهـــه إلى الجبال، ويبعد عن الجمعة والجماعة، ويخيل له أن هذا من الزهد، والدنيا لا تذم لذاتها! فكيف يذم ما من الله ـــ تعالى ـــ به وما هو ضرورة في بقاء الإنسان وسبب في إعانته على العبادة من مســـجد يصلي فيه ومطعم ومشرب وغيره!! إنما المذموم تناول الشيء على

(١) ابن ماجة والترمذي.
(٢) المتنطعون: المتشددون في غير موضع التشدد.
(٣) رواه البخاري ومسلم.

وجه الإسراف لا على مقدار الحاجة، وبعضهم يقلل الطعام حتى ييبس بدنه: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا**﴾. [سورة النساء، الآية: ٢٨]. فينبغي على الإنسان الرفق بنفسه، فليأخذ ما يصلحها، ويجنبها الشبع، والإفراط في تناول الشهوات، فإن ذلك يؤذي البدن والدين، فاكبح ــ أيها المسلم الكريم ــ جماح نفسك، ولا تطلق لهواك العنان، والله يرعاك.

* * * * *

## قصر الأمل وتحسين العمل

إن حب الدنيا يندر من يسلم منه، وهو منبعث من طول الأمل، لأن الإنسان يقول: الأيام بين يدي، وأفعل كذا، وبعد غد سأفعل، وأتمتع بالدنيا، وباب التوبة مفتوح وتتمادى به الأيام في جمع ما يجمعه من مال وبناء، ونحو ذلك، وتتشعب به آماله حتى يفاجئه هادم اللذات.

وطول الأمل سبب شقاء جمع كبير من الناس حين يخدعه الشيطان فيصور له أن أمامه عمرا طويلا، وسنين متعاقبة، يبني فيها آمالا شامخة، فيجمع همته لمواجهة هذه السنين، ولبناء هذه الآمال، وينسى الآخرة، ولا يتذكر الموت، وإذا ذكره يوما برم منه، لأنه ينغص عليه لذاته، ويكدر عليه صفو عيشه، وقد حذرنا الرسول، ﷺ ، أشد تحذير فقال: «**إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان: اتباع الهوى، وطول الأمل فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق. وأما طول الأمل فإنه حب الدنيا**»[1]. فإذا أحب الإنسان الدنيا أكثر من الآخرة آثرها عليها، واشتغل بزينتها، وزخرفها، وملذاتها عن بناء مسكنه في الآخرة في جوار ربه، في جنته مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء، والصالحين وحسن أولئك رفيقا. وقال، ﷺ : «**يكبر ابن آدم، ويكبر معه اثنتان: حب المال، وطول العمر**»[2]. وفي هذا الحديث كراهة الحرص على طول

(١) رواه ابن أبي الدنيا بسند ضعيف، العراقي على الأحياء: ٤/٤٥٣.
(٢) متفق عليه.

العمر، وكثرة المال، وأن ذلك ليس بمحمود، والحكمة في التخصيص بهذين الأمرين أن أحبَّ الأشياء إلى ابن آدم نفسه، فهو راغب في بقائها، فأحب لذلك طول العمر، فكلما أحس بقرب نفاد ذلك اشتد حبه له، ورغبته فيه، والإنسان أرغب في حب المال، ولا يقنع بالقليل، بل دائما يطلب الزيادة، ولذلك جاء عن النبي، ﷺ ، عن ابن عباس قال: سمعت النبي، ﷺ ، يقول: «**لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب**»[1].

ويظهر قصر الأمل في المبادرة إلى الأعمال الصالحة، واغتنام أوقات العمر، فإن الأنفاس معدودة والأيام مقدرة، وما فات لن يعود، وعلى الطريق عوائق كثيرة بيَّنها، ﷺ ، حين قال: «**بادروا بالأعمال سبعا هل تنظرون إلا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا [2] أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر**»[3].

وقد أرشد رسول الله ﷺ المؤمنين إلى ما يبعد عنهم طول الأمل ، ويبصرهم بحقيقة الدنيا، فأمر بتذكر الموت، وبزيارة القبور، وبتغسيل الموتى، وتشييع الجنائز، وعيادة المرضى، وزيارة الصالحين، فإن كل هذه الأمور توقظ القلب من غفلته، وتبصره بما سيقدم عليه فيستعد له. وسنتكلم عن ذلك بإيجاز:

---

(١) رواه البخاري ومسلم.
(٢) مفندا: أي عجز ينسب به صاحبه لنقص العقل.
(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

أ- أما ذكرت الموت دائما فإنه يزهد في الـدنيا، ويرغـب في الآخرة، فيحمل على الاجتهاد، في العمل الصالح، وعدم الركون إلى الشهوات المحرمة في الدنيا الفانية، وقد روى أبو هريرة عن النبي، ﷺ، أنه قال: «**أكثروا من ذكر هادم اللذات**»(١). وعن ابـن عمـر قال: قال رجل من الأنصار: من أكيس الناس، وأكرم النـاس يـا رسول الله؟ فقال، ﷺ : «**أكثرهم للمـوت ذكـرا، وأشـدهم استعدادا له، أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامـة الآخرة**»(٢). ثم يفكر الإنسان ألم يكونوا أقوياء الأبـدان يملكـون الأموال ويأمرون وينهون، واليوم قد تسلط الدود على أجسـادهم فنخرها، وعلى عظامهم فبددها، هذا هو مصيرنا يا معاشر الغافلين، واللحود بيوتنا بعد الترف واللين، والقيامة تجمعنا وتنصب الموازين، والأهوال عظيمة، فأين المفكر الحزين، أين الوالدون وما ولدوا؟ أين الذين ملكوا ونالوا؟ أما حل الموت فحل ما عقدوا، عاينوا والله كل ما قدموا ووجدوا، فمنهم أقوام شقوا وأقوام سعدوا!! أين المتيقظون وهم نائمون؟ أتبنون ما لا تسكنون؟! وتجمعون ما لا تأخـذون! طول نهاركم تلعبون!! وطول ليلكم ترقدون والفرائض ما تؤدون!! أما الأموال فتجمعون!! والحق فيها ما تخرجون!! وأمـا الصـلاة فتضيعون! وإذا صليتم تنقرون!! لو حصل لكم كل ما تحبون، ونما جميع ما تؤتون، ونلتم ما تشتهون، أينفعكم حـين ترحلـون؟! لا تفرحوا بما تفرحون!! فإنه لغيركم حين تطرحون: ﴿**كَمْ تَرَكُوا مِنْ**

(١) الترمذي برقم ٢٤٠٩.

(٢) ابن ماجة برقم ٤٢٥٩، وابن أبي الدنيا في الإحياء: ٤٥١/٤.

**جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾**. [سورة الدخان، الآيات: ٢٥ - ٢٧].

كونوا كيف شئتم: **﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾**.[سورة المؤمنون، الآية: ١٥]. ويحملون على الأعناق ولا يسمون ركبانا، وينزلون بطون الألحاد، ولا يسمون ضيفانا، متقاربين في القبور ولا يسمون جيرانا، أو ليس قد رأينا كيف ينقلون ولا كفانا.

**هو الموت ما منه ملاذ ومهرب**
**متى حط ذا عن نعشه ذاك يركب**
**نشاهد ذا عين اليقين حقيقة**
**عليه مضى طفل وكهل وأشيب**
**ولكن علا الران القلوب كأننا**
**بما قد علمناه يقينا.. نكذب**
**نؤمل أمالا ونرجو نتاجها**
**وعل الردى مما نرجيه أقرب**
**ونبني القصور المشمخرات في الهوى**
**وفي علمنا أنا نموت وتخرب**
**إلى الله نشكو قسوة في قلوبنا**
**وفي كل يوم واعظ الموت يندب**

ثم يفكر الإنسان هل له أن يسلم من الموت؟! أم أنه سيصل إلى ما وصل إليه أولئك فيستعد لتلك الدار، ويتأهب بالأعمال الصالحة فإنها العملة النافعة في الآخرة؟!!

ب- أما زيارة المقابر، فإنها عظة بليغة للقلوب، فإذا رأى الإنسان المساكن المظلمة المحفورة، ورأى هذه النهاية التي يحثو فيها أهل الميت عليه التراب بعد إدخاله لحدًا ضيقًا، وإغلاقه عليه بلبنات من طين. ثم يرجعون عنه ويقتسمون أمواله، ويتملكون مخصصاته، وتُزَوَّج نساؤه، وينسى بعد مدة يسيرة بعد أن كان صاحب الكلمة في البيت، يؤمر فيطاع، وينهى فلا يعصى، فإذا زار المقبرة، وتفكر في ذلك أدرك فائدة قوله، ﷺ : «**زوروا القبور فإنها تذكر الموت**»[1].

ج- أما تغسيل الموتى وتشييع الجنائز فإن تقليب الجسد على خشبة المغسلة عظة بليغة، إذ هو في حال حياته لا يستطيع أحد أن يقلبه ولا أن يدنو منه إلا بإذنه، وربما كان شديد البطش عظيم الهيبة، وقد صار بالموت جسدا خامدا لا حراك به، يقلبه الغاسل كيف يشاء.

د- أما زيارة الصالحين فإنها توقظ القلب وتبعث الهمة، فإن الزائر يرى الصالحين وقد اجتهدوا في العبادة، وتنافسوا في الطاعة، لا غاية لهم إلا رضا الله، ولا هدف لهم إلا في ذلك الطريق الشريف، وقد أرشد الله نبيه أن يصبر نفسه مع هؤلاء: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا**﴾ [سورة الكهف، الآية: ٢٨].

---

(١) مسلم رقم ٩٧٦.

أخي:

**عليـــك بتقـــوى الله إن كنـــت غـــافلا**
**يأتيك بـــالأرزاق مـــن حيـــث لا تـــدري**
**فكيــــــف تخـــاف الفقـــــر والله رازق**
**فقـــد رزق الطـــير والحـــوت في البحـــر**
**ومـــن ظـــن أن الـــرزق يـــأتي بقـــوة**
**ما أكـــل العصـــفور شـــيئا مـــن النســـر**
**تـــزود مـــن الـــدنيا فإنـــك لا تـــدري**
**إذا جـــن ليـــل هـــل تعـــيش إلى الفجـــر**
**فكم من صحيح مـــات مـــن غـــير علـــة**
**وكم من سقيم عاش حينـــا مـــن الـــدهر**
**وكم من فتى أمســـى وأصـــبح ضـــاحكا**
**وأكفانه في الغيب تنسج وهـــو لا يـــدري**
**فمـــــــن عـــــاش ألفـــــا وألفـــــين**
**فلابـــد مـــن يـــوم يســـير إلى القـــبر**

فأقرر يا أخي عينيك بطاعته بدلا مما قرت وســرت بآمالهــا وأمانيها على محبته ، فإن الفائزين بذلوا الأحزان في الدنيا فورثوهـــا دوام السرور، أطالوا البكاء في الدنيا فدام في الآخرة فرحهم، تعبوا ونصبوا فورثوها راحة الأبد، رفضوا الشـــهوات فرجـــوا حـــورا مقصورات، فجمعوا جميع مكـــارم الأخـــلاق، وجـــانبوا دنـــاءة الأخلاق، فعليه يتوكلون، ومنه يحذرون، ورضاه ورحمته يرجـــون،

فالعاقل من كان قلبه بين الرغبة والرهبة والرجـــاء والخـــوف، ولا يتمادى به الرجاء والأمل على التقصير والأمن من عذاب الله، كما لا يجوز أن يتمادى به الخوف إلى حال القنوط من رحمة الله، ولهذا قال ــ تعالى ــ: ﴿**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُــورُ الــرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ**﴾. [سورة الحجر، الآيتــان: ٤٩، ٥٠]. عباد الله ما هذه الغفلة وأنتم مستبصرون، وما هذه الرقدة وأنـــتم مستيقظون، كيف نسيتم الزاد وأنتم راحلون، أين ما كانوا قبلكم؟ ألا تتفكرون، أما رأيتم كيف نازلهم المنـــون؟ ﴿**فَلَـــا يَسْـــتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ**﴾. [سورة الحجـــر، الآيـــة: ٥٠]. عباد الله أين الذين سادوا وشادوا أوطانا، وحكموا وأحكموا بنيانا وجمعوا فحشدوا أموالا وأعوانا؟ عوضوا بأربح الهـــوى خســـرانا، وبدلوا بإعزاز الكبر والتجبر هوانا، وأخرجوا من ديـــارهم بعـــد الجموع وحدانا، وما استصحبوا مما جمعوا إلا أكفانا.

فيا من قد بقي من عمره القليل، ولا يدري متى يقع الرحيـــل، كأنك بطرفك حين الموت يسيل. والروح تنزع والكرب ثقيـــل، والنقلة قد قربت وأين المقيل؟ أفي الجنة ونعيمها والسلســـبيل، أم في الجحيم وأنكالها وأغلالها وبئس المقيل؟! يا من تعد عليـــه أنفاســـه استدركْها ، يا من ستفوته أيامه أدركْها.

**يـــا مـــن يعـــانق دنيـــا لا بقـــاء لهـــا**
**يمســـي ويصـــبح في دنيـــاه ســـفارا**
**هـــلا تركـــت لـــذي الـــدنيا معانقـــة**
**حـــتى تعـــانق في الفـــردوس أبكـــارا**

إن كنت تبغــي جنــان الخلــد تســكنها
فينبغـــــي لـــــك أن لا تـــــأمن النـــــارا

* * * * *

## أسباب السعادة

إن لذة الحياة وكمالها وقمة السعادة كلها، لا تكون إلا للذين آمنوا وعملوا الصالحات، وأخبر الله ووعد من جمع بين الإيمان والعمل الصالح بالحياة الطيبة في هذه الدار وبالجزاء الحسن في دار القرار قال ـــ تعالى ـــ: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**. [سورة النحل، الآية: ٩٧].

والإيمان هو الإقرار بالقلب والنطق باللسان والعمل بالأركان، يزيد بالطاعة، وينقص بالعصيان، والأعمال الصالحة داخلة في مسماه، وشرط في صحته، وإذا تتبعنا كتاب الله وسنة رسوله، ﷺ، وجدنا أن الإيمان يشتمل على معنيين لابد من وجودهما في المؤمن الصادق، الأول هو تصديق خبر الله ـــ تعالى ـــ وأخبار رسوله، ﷺ، الثاني: هو الالتزام بالأوامر والنواهي التي أمر الله بها عباده الصادقين، وقد جاءت الآيات الكريمة جامعة بن المعنيين: "التصديق والعمل". وذلك في وصف المؤمنين، ومن ذلك قوله ـــ تعالى ـــ: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾**. [سورة الحجرات، الآية: ١٥]. وبهذه الآية يتحدد معنى الإيمان بشقيه، فالإيمان هو التصديق بالله ورسوله، وعدم الشك في ذلك، وهو الجهاد بالمال والنفس في سبيل الله، ولا شك أن الجهاد يستلزم ما دونه من أعمال الإسلام لأن الجهاد، هو الذروة من أعمال

الإسلام، فلا ينبعث للجهاد في سبيل الله تارك للعمل الواجب، كالصلاة والزكاة والحج مثلا، ورتب الله على الصادق رضوانه والفلاح والسعادة ودخول الجنة، والنجاة من النار، وأخبر ـ سبحانه ـ أن الأيمان المطلق تنال به أرفع المقامات في الدنيا وأعلى المنازل في الآخرة فقال ـ تعالى ـ: ﴿**وَالَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ**﴾. [سورة الحديد، الآية: ١٩]. والصديقون هم أعلى الخلق درجة بعد درجة الأنبياء في الدنيا، وفي منازل الآخرة. ويفسر ذلك ويوضحه ما ثبت في الصحيحين عنه، ﷺ : «**أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف في الجنة** [١] **كما تراءون الكوكب الشرقي أو الغربي في الأفق لتفاضل ما بينهم، فقالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين**»[٢]. وإيمانهم بالله وتصديقهم للمرسلين إيمانا متضمنا القيام بأصول الدين وفروعه، فطوبى ثم طوبى لمن كان على هذا الوصف المتضمن من النعيم، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا**﴾. [سورة الأحزاب، الآية: ٤١].

إن ذكر الله عنصر أساسي في حياة الإنسان المسلم وإن من داوم على ذكر الله يعش مطمئن القلب، ويحيا حياة ملؤها السعادة

(١) قوله (في الجنة) لفظ مسلم واللفظ المتفق عليه من طريق أبي سعيد هو ـ (من فوقهم).
(٢) صحيح البخاري ـ ٤/١١٩، ومسلم ـ ٨/١٤٤، ١٤٥.

فذكر الله يشرح الصدور، وينير القلوب، وينمِّي الحسنات، ويرفع الدرجات، ويكفر الخطايا والسيئات. وهو خفيف على اللسان، وثقيل في الميزان وحبيب إلى الرحمن.

قال، عليه الصلاة والسلام: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخيرا من إنفاق الذهب والفضة، وخيرا لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. «**قال: ذكر الله**»[1].

أخي المسلم اذكر ربك بلسانك وقلبك قائما وقاعدا، وعلى جنبك يذكرك الله بمغفرته ، ويثني عليك عند ملائكته.

إن لذكر الله تأثيرا عظيما في حياة المسلم الروحية والنفسية والجسمية والاجتماعية[2] فاحرص يا أخي أن تذكر الله كل حين على أي حالة كنت فقد مدح الله عباده المخلصين بقوله: ﴿**الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ**﴾. [سورة آل عمران، الآية: ١٩١].

أعانك الله على ذكره وشكره وحسن عبادته.

### ولتكن منكم أمة:

لقد حصر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الفلاح في الدعاة إلى الخير، والآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، فقال ـ عز وجل

(١) رواه الترمذي.
(٢) يمكن معرفة بعض الفوائد في الكتاب الرائع الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم.

ــ: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِــالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. [سورة آل عمران، الآية: ١٠٤]. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، عبادة من أعظم العبادات، وشعيرة عظيمة من شعائر الإسلام، وقربة مــن أجــل القربات، ودعامة راسخة من دعائم المجتمع الرباني، دلت على ذلك النصوص، وشهد به التاريخ، ونطق به الواقع.

والمعروف شرعا: اسم جامع لكل ما يحبه الله ــ تعالى ــ من طاعته، والإحسان إلى عباده. والمنكر في الشرع: اسم جامع لكل ما عرف بالشرع والعقل قبحه، من معصية الله ــ تعــالى ــ وظلــم عباده.

والأمر والنهي فطرة في نفس كل إنسان، حتى لو كان يعــيش منفردا معتزلا الناس، فلابد أن تأمره نفسه وتنهاه. فإما أن تــأمره بالمعروف، وتنهاه عن المنكر، أو على الضد من ذلك، تأمره بالمنكر وتنهاه عن المعروف، أو تأمره بخليط من هذا وذاك، وتنــهاه عــن مثله. ولذلك قيل نفسك إن لم تشغلها بالخير شغلتك بالشر، ومــا دام الإنسان الواحد المنفرد يتعرض للأمر والنهي. فأولى بــالمجتمعين أن يكون بينهم أمر ونهي، سواء كانوا اثنين أو أكثر من ذلــك، أو مجتمعا كاملا أو أمة، ويوم تجد الأمة المسلمة من رجالها من يجهــر بالحق، ويصارح بالحقيقة دون خوف أو وجل بل بشجاعة، فــإن المجتمع الإسلامي سوف تنقشع عنه أسباب الفتنة والضياع، وتتبدل صورته تماما، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو سبب خيريــة هذه الأمة، وهو من خصائصها وميزاتها التي من الله ــ تعــالى ــ

عليها من بين سائر الأمم. قال ـــ تعالى ـــ: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ**﴾. [سورة آل عمران، الآية: ١١٠].

﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا**﴾. [سورة الطلاق، الآية: ٢٠]:

التقوى في الشرع هي: عبارة عن كمال توقي الإنسان عما يضره يوم القيامة بفعل المأمورات التي تستوجب رضى الله وثوابه، وتجنب المنهيات التي تستتبع غضب الله وعقابه، وكذا حفظ النفس عما يؤثم، بترك المحظورات، ولا يتم ذلك إلا بترك بعض المباحات، لما روي عن الرسول، ﷺ : «**إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ألا وإن لكل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإن فسدت فسد الجسد كله**»[1].

والتقوى هي أساس الدين وعماده المتين، الذي يرتكز عليه، ومنه ينطلق. فلا يكون الإيمان كاملا، ولا يكون الدين حقا بدون تقوى، فهي ثمرة الإيمان التي تمنع الإنسان عن ارتكاب المعاصي وإيذاء الآخرين، وإذا سار الإنسان في هذا الطريق النير فإن عاقبته

(١) رواه البخاري ومسلم.

السعادة والفلاح، وبسببها يستحق المسلم التكريم عند ربه. قال ــ تعالى ــ: ﴿**إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا**﴾. [سورة النبأ، الآيات: ٣١ - ٣٤]. ووعد الله من اتقاه بالخروج من كل شدة وضيق، وبالرزق من حيث لا يخطر على باله، ولا يدور في حسبانه، ومن مقتضيات التقوى صدق التوكل على الله، والالتجاء إليه، والتقوى وصية الله لجميع خلقه: ﴿**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ**﴾. [سورة النساء، الآية: ١٣١]. وهي وصية رسوله ﷺ لأمته كان- عليه الصلاة والسلام- إذا بعث أميرا على سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيرا، ولما خطب رسول الله، ﷺ ، في حجة الوداع يوم النحر أوصى الناس بتقوى الله ــ عز وجل ــ وبالسمع والطاعة، ولما وعظ الناس قالوا له كأنها موعظة مودع.

وختاما. روي أن عابدا يقال له همام جاء إلى أحد العارفين، وقال له: صف لي المتقين حتى كأني أنظر إليهم، فقال: هم الذين منطقهم الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، غضوا أبصارهم عما حرم عليهم، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم، نزلت أنفسهم في البلاء، كالتي نزلت في الرخاء، لولا أجل الله الذي كتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقا إلى ربهم. عظم الخالق في أنفسهم، فصغر ما دونه في أعينهم، قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجتهم خفيفة، وأنفسهم عفيفة، صبروا أياما قصيرة، أعقبتهم راحة طويلة، تجارة

رابحة، سيرها لهم ربهم، أرادهم الدنيا فلم يريدوها، وأسرهم ففدوا أنفسهم منها أما الليل فصافون أقدامهم، يرتلون أجـزاء القـرآن ترتيلا، فإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها بمسامع قلوبهم، وظنوا أن زفير جهنم وشهيقها في أصول آذانهم، فهم جاثون على ركبهم، يطلبون من الله فكاك رقابهم، أما النهار فحلماء، علماء أبرار أتقياء، قد براهم الخوف بري القداح، ينظر إليهم الناظر فيحسبهم مرضى وما بالقوم مرض، لا يرضون من أعمالهم بالقليل، ولا يسـتكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومن أعمالهم مشفقون، إذا زكـي أحدهم خاف ما يقال له فيقول: أنا أعلم بنفسي من غيري، وربي أعلم بنفسي مني اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني أفضل ممـا يظنون. واغفر لي ما لا يعلمون.

نسأل الله أن يجعلنا ممن يستمعون وصية التقوى، فيعملون بها، وممن يسمعون القول فيتبعون أحسنه.

**﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾**. [سورة الأحـزاب، الآية: ٣]:

التوكل هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين، يعني يفوض الإنسان أمره كله لله، فإن الله كافيه جميع ما يهمه من أمـر دينـه ودنياه، فعن ابن عمر ــ رضي الله عنه ــ قال سمعت رسـول الله، ﷺ ، يقول: «**لو أنكم توكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا**»[1]. ومعناه تـذهب أول

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن: ٢٣٤٥.

النهار ضامرة البطون من الجوع، وترجع آخر النهار ممتلئة البطون.

والشرع أثنى على المتوكلين، وإنما يظهر تأثير التوكل في حركة الإنسان وسعيه إلى مقاصده، فكم من إنسان بدأ عمله معتمدا على قوَّته فخذله الله وأمرضه، وكم من إنسان لم يرض بقضاء الله فمُنع من رحمة الله، وكم من إنسان لم يرض بما اختاره الله فخسر الدنيا والآخرة! وكم من إنسان توكل على الله فأتت له الدنيا وهي راغمة، فالتوكل هو الاعتماد على الله في كل أمر من أمورك، وهو الثقة بالله، والإيمان بقدرته، وقوته وعلمه، ولكي يتم المعنى الحقيقي للتوكل، فلابد لمن توكل على الله أن يبذل الأسباب، فهذه هي سنة الله ــ سبحانه ــ ونجد هذا المعنى متحققا في أكثر من موضع من القرآن والسيرة النبوية، فها نحن نقرأ قوله ــ سبحانه وتعالى ــ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾. [سورة الأنفال، الآية: ١٧]. وذلك عندما أخذ الرسول، ﷺ ، حفنة من التراب وألقاها في وجوه الكفار في إحدى المعارك فدخلت كل ذرة منها في عين أحدهم وكانت من أسباب الانتصار، نرى أن الله ــ سبحانه وتعالى ــ أراد نصر رسول الله ﷺ بذلك السبب- وهو رمي هذه الحفنة من التراب- ولكن الناصر الحقيقي هو الله ــ سبحانه وتعالى ــ إذ إن الرسول، ﷺ ، بعد توكله على الله ما زاد على بذل السبب شيئا، وكذلك الحال في عصا موسى، عليه السلام، فهنيئا للمطبق لهذا المعنى الإيماني الكبير. ورجاء أن يكون من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب كما جاء في الصحيحين والذين جاء من صفاهم: وعلى رهم يتوكلون.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾. [سورة غافر، الآيـــة: ٦٠]:

الدعاء مفتاح كل خير سلمه الله إلى عباده المؤمنين، فمن شاء استفتح كما قال علي ابن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ في وصية لابنه الحسن: "... واعلم يا بني أن الله ــ سبحانه ــ جعل مفاتيح الخير في يدك فمتى شئت استفتحت ألا وهو الدعاء".

فالزم – يا أخي – الدعاء الذي لا يكلفك سوى مد يـــديك، وتوجه بقلبك إلى خالقك، ليفتح لك أبـــواب فضـــله ورحمتـــه، وليعلمك ما ينفعك في دنياك وآخرتك فأقبل علـــى الله، بصـــدق، وقلب حاضر، ونية صادقة، فطلب الأمور ونيل المعـــالي، وتـــذليل الصعاب كل ذلك متوقف على دعائك لربك الذي وعدك بالإجابة نسأل الله – تعالى – أن نكون ممن آخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين.

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾. [سورة طه، الآية: ١١٤]:

**العلم**، هو: السر في رقي الأمم، وتقدمها، وقوتها، وازدهارها، فأي أمة أخذت بالعلم فإننا نجدها أمة رقت إلى المجد، ودخلت إليه من أوسع أبوابه، لذلك وجب على كل إنسان مسلم تعلم العلـــم والأخذ بأسبابه، حتى تتوافر له حياة طيبة، كريمة، ولقـــد حـــض الإسلام على العلم، ونزلت أول سورة من كتاب الله تـــدعونا إلى العلم[١]، والتعليم أمر محمود، وليس المراد من التعليم نيل الشهادات

(١) سورة العلق.

وبلوغ المراتب، والحصول على الوظيفة! بل لمعرفة أمور الدين، وإدراك أحكامه، وإجادة القرآن الكريم، حتى تعبد الله على بصيرة.
والعلم علمان:

١- العلم الديني ـ وهو يوصل إلى معرفة الله وتوحيده، ومعرفة أمره ونهيه، ومعرفة نبيه، عليه الصلاة والسلام، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة، كذلك هو تبيان الحلال والحرام، والفرض والواجب، والمندوب والمباح، والمكروه والمحرم، حتى يعبد المسلم ربه على هدى، وحتى لا يقع في الضلالة أو البدعة، وحتى يتعلم غير المسلم مفهوم الإسلام، لعله يهتدي.

**وما أحسن العلم الذي يورث التُّقى**
**به يُرتقي في المجد أعلى سمائه**
**وما العلم عند العالمين بحده**
**سوى خشية الباري وحسن لقائه**
**ومن أعظم التقوى النصيحة إنها**
**من الدين أصبحت مثل أس بنائه**
**فلله فانصح بالدعاء لدينه**
**وطاعته مع خوفه ورجائه**
**وكن ناصحا للمصطفى باتباعه**
**ونصرته مع حب أهل ولائه**
**ألا إن هدي المصطفى خير مقتضى**
**وكل صلاح للورى في اقتضائه**

**فبالسنة الغرَّا تمسك فإنها**
**هي الذخر عند الله يوم لقائه**

فالعلم الديني يورث التقوى،ويبعث في النفس خشية الله ويعدها للقائه. والنصيحة هي التي فرضها الله على العالم الذي ينفع بعلمه، ويبصر بها الناس، فزكاة العلم نشره، ومن هنا كانت النصيحة تقوى، لأنها خشية من التقصير في الدعوة للدين، وإيقاف الناس على حلاله. وحرامه، وتذكيرهم بعذابه وثوابه. وطريق معرفة الدين كتاب الله ـــ تعالى ـــ واتباع سنة نبيه، عليه الصلاة والسلام، قولا وفعلا، ومن يفعل ذلك يكن يوم القيامة من الفائزين.

فالعلم يشرح الصدر ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يورثه الضيق، والحصر والحبس فكلما اتسع علم العبد انشرح صدره واتسع، وليس هذا لكل علم، بل للعلم الموروث عن الرسول، ﷺ ، وهو العلم النافع، فأهله أشرح الناس صدرا، وأوسعهم قلوبا، وأحسنهم أخلاقا وأطيبهم عيشا.

**﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾**. [سورة الشعراء، الآية: ٢١٥]:

لقد أمر الله رسوله، ﷺ ، بخفض جناحه لأولئك الذين يستجيبون لدعوته، كما يخفض الطائر جناحيه حين يهم بالهبوط، وهي صورة حسية معبرة، يكنى بها عن اللين والتواضع، والتواضع في مفهوم الأخلاق الإسلامية هو تطامن النفس البشرية لقوة إيمانها

بالله وشعورها بجلال عظمته، ويقينها بأن الكبرياء على العباد من خصائص الألوهية، وتتطامن نفس المؤمن مع أخيه المؤمن، تواضعا ولينا ورفقا، لتتآلف قلوبهم على محبة الله، وتتوثق عرى أخوتهم على دينه.

والتواضع خلق الأنبياء والمرسلين، ونعت المتقين والمهتدين الذين عرفوا الحق فاتبعوه، والباطل فاجتنبوه. ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة. والتكبر خلق الجبابرة الظالمين، والكفرة حشر الناس تحت لوائه، ﷺ ، وقد وجه الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة المسلمين إلى النظر إلى الآفاق والأنفس والسماوات والأرض، على سبيل العلم المؤدي إلى مزيد من الإيمان، وهذا يسمى بالعلم الدنيوي، وهو فرض على الكفاية، إذا قام به من يكفي سقط عن الباقين، كالطب والهندسة، والتعليم، وكل ما يؤدي إلى الإيمان واليقين ويدعو إلى الله من أنواع العلوم ويقدم للبشرية راحة ويحقق لها من نفع، ويدفع عنها من ضر، فقد حث الإسلام على تعلمها بشرط تعلمها لوجه الله، قال، عليه الصلاة والسلام: «**من طلب العلم ليجاري به السفهاء، ويصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار**»[1]. فاحذر السخرية بغير المتعلم، والترفع على من هو دونك في التعلم، وإلا صار علمك وبالًا عليك، وليكن التواضع وخفض الجناح سبيلك.

وإن من مظاهر احتفاء الإسلام بالعلم أن النبي ﷺ جعل فدية

(١) صحيح سنن الترمذي: ٢١٣٨.

بعض أسرى بدر من المشركين أن يعلم كل واحد منهم بعض صبيان المسلمين القراءة[(١)].

والملحدون، الذين استكبروا عن عبادة الله. وتكبروا على عباد الله فلم ينقادوا للحق الذي جاءت به الرسل، سوف يهينهم الله ويذلهم جزاء ما قدموا لأنفسهم من العلو والفساد، قال ﷺ : «**إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد**»[(٢)]، فيجب على المسلم لزوم التواضع، ومجانبة التكبر ليرفعه الله حسيا، ومعنويا في الدنيا والآخرة فإن التواضع يكسب السلامة، ويورث الألفة والمحبة، وعلى المسلم أن يجعل كبير المسلمين بمنزلة أبيه، فيحترمه ويتواضع له، ويجعل صغير المسلمين بمنزلة ابنه فيرحمه، ويعطف عليه، ويجعل نظيرهم له أخا، فيعامله بما يحب أن يعامله به، ولنا في رسول الله أسوة حسنة، حيث كان ﷺ هين المؤنة، لين الخلق، كريم الطبع، جميل المعاشرة، طلق الوجه، بساما متواضعا من غير ذلة، جوادًا من غير سرف، رقيق القلب، رحيما بكل مسلم، خافضا الجناح للمؤمنين. لين الجانب لهم.

﴿**وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**﴾. [سورة هود، الآية: ٩٠]:

اعلم ـــ أخي العزيز ـــ أن الله ـــ عز وجل ـــ عظيم المغفرة، ويقبل توبة عبده المنيب إليه، ولم يقنط منه ، بل فتح باب التوبة على مصراعيه وذلك فضل الله ورحمته على عباده.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند برقم ٢٢١٦ من حديث ابن عباس.
(٢) رواه مسلم.

ثم إن ربنا ـــ تبارك وتعالى ـــ قد بين أن التوبة هـــي طريـــق الفلاح فقال ـــ سبحانه ـــ: ﴿**وَتُوبُوا إِلَى اللَّـهِ جَمِيعًـا أَيُّهَـا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾. [سورة النور، الآية: ٣١]. فالتوبـة ليست خاصة لمن أذنب بل عامة في حق جميـع المـؤمنين الـذين يريدون الفوز والفلاح في الدنيا والآخـرة، وكـان ﷺ - وهـو المعصوم، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر- يقول: «**والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة**»(١)، وهذا لا يعني العدد بالتحديد وإنما كثرة الاستغفار والتوبة، وبين ﷺ « **أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له**»(٢) فلابد لكل مسلم من تجديد التوبة بين الحين والآخر، وعنه ﷺ فيما يرويه عن ربه يقول: قال الله ـــ تعالى ـــ: «**يا ابن آدم إنك مـا دعـوتني ورجـوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لـو بلغـت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك، يا ابـن آدم لـو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتـك بقرابها مغفرة**»(٣). فلا ييأس المسلم ولا يقنط من رحمة الله، فإنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الكافرون.

أخي المسلم إن هذه الخطايا ما سلمنا منها، ولن نسلم! فنحن المذنبون، أبناء المذنبين وإن العبد مهما قوي إيمانه وعلا يقينه، لابد من هفوات منه، وصغائر يلم بها، ولكن الخطر أن نسمح للشيطان

---

(١) رواه البخاري: ١١٠/١١ فتح.
(٢) ابن ماجة: ٤٢٥٠ وإسناده صحيح.
(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

أن يستثمر ذنوبنا، ويرابي في خطايانا، أتدري كيف ذلك؟!

يلقي في روعك أن هذه الذنوب خندق يحاصـــرك، يلقـــي في روعك أن هذه الذنوب تسلبك أهلية العمل للدين، أو الاهتمام به، وهكذا يضخم الوهم في نفسك، وهذه ـــ يا أخي ـــ حيلة إبليسية ينبغي أن يكون عقلك أكبر وأوعى من أن تنطلي عليه.

نسأل الله ـــ تعالى ـــ أن يمن علينا بالإيمان المكـــين، والعمـــل الصالح، والتوبة النصوح، وأن يعيذنا من رين القلـــوب، وغشـــاوة الذنوب، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

* * * * *

## جهاد النفس

إن من أعظم النعم التي أنعمها الله على الإنسان العقل، لأنه الآلة في معرفة الإله، ولما أنعم الله على هذا العالم الإنسي بالعقل افتتحه الله بنبوة آدم عليه السلام، فكان يعلمهم من وحي الله ــ عز وجل ــ فكان على الصواب إلى أن انفرد قابيل بهواه فقتل أخاه، ثم تشعبت الأهواء بالناس فجعلهم في ضلال، ثم إن الأنبياء جاؤوا بالبيان الكافي، وقابلوا الأمراض بالدواء الشافي، فأقبل الشيطان يخلط بالبيان شبها وبالدواء سما، فبعث الله ــ سبحانه وتعالى ــ محمدًا ﷺ ، شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا، عاش النبي ﷺ ، يوجه الأمة إلى طريق السعادة في الدنيا والآخرة، بالقول والعمل إلى أن لقي ربه بعد أن أكمل الله الدين، وأتم النعمة على المسلمين فلما مات، عليه الصلاة والسلام، نهض إبليس يزخرف ويزين، وبدأت البدع في الظهور، ولهذا فإن النبي، ﷺ ، أمرنا باتباع سنته، ونهانا عن الابتداع. فقال: «**من أحدث في ديننا هذا ما ليس منه فهو رد**»[1]. فالواجب على العاقل أن يأخذ حذره من عدوه الذي أبان عداوته منذ زمن آدم عليه السلام، ولا يطلق لنفسه الميل وراء شهواته، وعليه بالصبر عن الاستجابة لمتاع الحياة الدنيا وزينتها، وأن يضبط نفسه عن الاسترسال والركون إليها، وقمع الشهوات ومجاهدة نفسه وقهرها عن هواها، قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ: "دافع الخطرة فإن لم

---

(١) رواه البخاري.

تفعل صارت شهوة، فإن لم تفعل صارت عزيمة، فإن لم تـــدافعها صارت فعلا، فإن لم تدركه بضده صارت عادة، فيصعب عليـــك الانتقال منها، وذلك لأن النفس بطبيعتـــها تميـــل إلى الشـــهوات واللذات والهوى، فلا تغرنك نفسك بالأماني والغرور، وإن رضيت عنها واتبعت هواها قادتك إلى النار وبئس القرار".

«**حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**»[(١)]. وذلـــك لأن الجنة تحتاج للعمل الدؤوب المرتكز على الإيمان الصحيح، كما تحتاج إلى مدافعة النفس وكفها عن الشهوات، والتـــزود بالعمـــل الصالح، وعدم الاستغراق في الدنيا، والجري وراء مطالبها، فمطالبها كثيرة لا تنتهي، ويكفي الإنسان منها ما قل وأدى به إلى الشـــكر، فكثرة النعيم قد تجر إلى حب الدنيا، والتعلق بهـــا، والـــدخول في المحرمات، واقتراف المنكرات، فشهوات الدنيا تستهويه، وتغريـــه، ومنالها في هذا العصر ميسور، بينما القابض على دينه كالقـــابض على جمرة من نار، لأن الإنسان محاط بالمفاسد، وجبهات الشهوات مفتوحة عليه من كل جانب، والسعيد من عصمه الله، وسدد خطاه للخير، واتبع سبل السلام، وليس للإنسان من حل إلا اتباع الجماعة جماعة الخير والإيمان، ليبقى ضمنها يتلقى النصائح مـــن إخوانـــه، وينصح هو بدوره فلا تنفرد به الشهوات، ولا تداهمه المحرمـــات، والإنسان محتاج إلى قوة إيمان ليتغلب على النفس الأمارة بالســـوء وليكبح الشهوات، ومحتاج إلى الجهد والصبر والالتزام والإقبال إلى

(١) رواه مسلم.

أن يفوز بجنات الله التي أعدت للمؤمنين المتقين، أما النار فـــدخولها سهل لأن متع الدنيا ميسرة لقاصدها فالمحرمات تستهوي النفـــوس الضعيفة الخالية من الإيمان، وهنا يتولى الشيطان قياد هذا الإنسان، فيرتاد به كل محرم، ويحبب إليه كل منكر، حتى لا يـــرى أمامـــه مسلكا إلا طريق الحرام، والبغي والفجور، وينقله من خبيـــث إلى خبيث ليلقى بعد ذلك ربه، وقد حمل أوزارا على أوزار، تعجز عن حملها الجبال الراسيات.

**يـــا أيهـــا العاصـــي إلى كـــم في الهـــوى**
**واللـــــهو مـــا تخشـــى مقـــام الموعـــد**
**الصـــبر عـــن شـــهوات نفســـك توبـــة**
**فاثبـــت وغـــالط شـــهوة لم ترقـــد**
**تحمــــد هنـــاك إذا هـــواك تركتـــه**
**يـــا ســـعد تســـعد بالمعـــاش الأرغـــد**
**إن شئت نيل الفخـــر فاصـــبر واصـــطبر**
**إن المفـــــاخر في الطريـــــق الأبعــــد**

وقد تنفر النفس في بداية طريق المجاهدة، ولكن إذا شمرت عن ساعد الجد وكانت عندك تلك الإرادة، والعزيمة القوية، فســـتنالها بإذن الله، وواجب المسلم أن يحاسب نفسه، ويعاقبها على التفريط، ويعاتبها على التقصير، وكيف لا يحاسب المسلم نفسه وهو يعلم أن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وأن محاسبة النفس تجعلك على علم بعيوب نفسك وذاتها، ومواطن الضـــعف فيهـــا، فتبـــدأ

بوصف الدواء لها، ومعالجتها من هذه الأمور، وتتخلص من هذه العيوب، وتجعلك دائم الاستعداد ليوم القيامة تعد الزاد وتستكثر منه، وليعلم كل مسلم أنه ليس للمرء في الدنيا مقام ولا عليها قرار، فالآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا، يوم القيامة يوم الحسرة والندامة: ﴿**يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا**﴾. [سورة آل عمران، الآية: ٣٠]. وجملة وتفصيلا، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**فَأَمَّا مَنْ طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى**﴾. [سورة النازعات، الآيات: ٣٧ - ٤١].

فراجع نفسك ـ يا أخي ـ واتخذ قرارا شجاعا يرضي الله ورسوله، جعلنا الله وإياكم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، لنكون من الذين سبقت لهم من ربهم الحسنى، فأحلهم دار المقامة من فضله، لا يبغون عنها حولا، وهم فيها اشتهت أنفسهم خالدون.

* * * * *

## وصف الجنة والتحذير من النار

عباد الله، اتقوا الله، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض، أعدت للمتقين، سارعوا إلى دار النعيم، فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فغاية ما يتمناه المسلم هو الفوز بالجنة، دار النعيم، والكرامة، والنجاة من النار، دار الشقاء، والعذاب، والإهانة، وهذا هو الفوز العظيم، المترتب على الفوز بطاعة الله ورسوله، ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا**﴾. [سورة الأحزاب، الآية: ٧١].

وقد تضمن كتاب الله ــ تعالى ــ وسنة رسوله، ﷺ ، أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، وأوصاف كل من أهل الجنة وأهل النار، قال ابن القيم ــ رحمه الله ــ: "كيف يُقَدَّر قدْر دار غرسها الله بيده، وجعلها مقرًا لأحبابه، وملأها من رحمته، وكرامته، ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم، وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتها، فهي المسك والزعفران، وإن سألت عن سقفها، فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن بنائها، فلبنة من فضة ولبنة من ذهب، فيها غرف يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، للمؤمن فيها خيمة من لؤلؤة واحدة، مجوفة، طولها ستون ميلا، فإن سألت عن ارتفاعها، فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار، وإن سألت عن

أنهارها، ففيها أنهار من ماء غير آسن، أي لم يتغير ولا يتغير أبـــدا، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه بحموضة، ولا فساد، وأنهار من خمـــر لذة للشاربين، ولا يصدع الرؤوس، ولا يزيل العقول، وأنهار مـــن عسل مصفى، تجري هذه الأنهار من غير حفر ســـواق، ولا إقامـــة أخدود، يصرفونها كما يشاؤون.

فإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طـــير ممـــا يشتهون، يعطى الواحد منهم قوة مائة في الطعام والشراب، ليأكلوا من جميع ما طاب لهم، ويشربوا من كل ما لذَّ لهم، ويطول نعيمهم بذلك، ثم يخرج طعامهم، وشرابهم جشاء ورشحا مـــن جلـــودهم كريح المسك، فلا بول ، ولا غائط، ولا مخاط، لهـــم فيهـــا أزواج مطهرة من الحيض والنفاس، أنشأهن الله إنشاء، فجعلهن أبكـــارا، كلما جامعها زوجها عادت بكرا، وجعلهن عربا، والعروب هـــي المرأة المتوددة إلى زوجها، أترابا على سن واحد، عن علي ـــ رضي الله عنه ـــ قال: قال رسول الله، ﷺ : «**إن في الجنة لمجمعا للحور العين يغنين بأصوات لم يسمع الخلائق بمثلها، يقلن نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات، فلا نيأس، ونحـــن الراضـــيات فـــلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكنا له**»[1]. فيها ما تشتهيه الأنفـــس، وتلذ الأعين، وهم فيها خالدون، لا يبغون عنها حـــولا، ولا هـــم عنها مخرجون، ينادي مناد إن لكم إن تصحوا فلا تسقموا أبـــدا، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا، وإن لكم أن تشبوا فـــلا تهرمـــوا

(١) أخرجه الترمذي.

أبدا، وفوق ذلك كله ما يحصل لهم من النعيم برؤيـــة ربهـــم الـــبر الرحيم، الذي من عليهم حتى أوصـــلهم بفضـــله إلى دار الســـلام والنعيم، فإنهم يرونه عيانا بأبصارهم، وسلامه علـــيهم، وتـــنعمهم برؤيته، وفوزهم برضاه الذي هو أكبر من نعيم الجنة، وذلك هـــو الفوز العظيم. وقال، عليه الصلاة والسلام: «**إن الله يقول لأهـــل الجنة: يا أهل الجنة: فيقولون. لبيك ربنا وسعديك، والخير كله في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يـــا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك، فيقـــول: ألا أعطـــيكم أفضل من ذلك، فيقولون يا رب: وأي شيء أفضل من ذلـــك، فيقول أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبـــدا**»[1]. أخي ألا تحب أن تكون في طيب جوار الله في جنتـــه، في روح لا يزول، ونعيم لا يبيد، فوق الأماني ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، وقرة عين لا تنقطع في جنات ونهر، في مقعد صدق عنـــد مليـــك مقتدر.

فيا عباد الله، اتقوا الله تعالى، اتقوا ذلـــك بامتثـــال أوامـــره، واجتناب نواهيه، فإنه لا نجاة لكم من النار إلا بهذا، اتقوا النار فإنها دار البوار والبؤس، ودار الشقاء والعذاب الشديد، دار من لا يؤمن بالله واليوم الآخر، دار فرعون وقارون، وأبي بن خلف وغيرهم من طغاة الخلق وفجارهم، ولئن سألتم عن مكانهـــا فإنهـــا في أســـفل السافلين، وأبعد ما يكون عن رب العالمين. طعام أهلها الزقوم، وهو

---

(١) رواه مسلم.

شجر خبيث مر المطعم كريه المنظر، لا يسمن ولا يغني من جوع، هذا هو طعامهم إذا جاعوا، فإذا أكلوا منها التهبت أكبادهم عطشا، مستغيثون طلبا للماء: ﴿**وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ**﴾. [سورة الكهف، الآية: ٢٩]. وهو الرصاص المذاب يشوي وجوههم حتى تتساقط لحومها، فإذا شربوا على كره وضرورة قطع أمعاءهم ومزق جلودهم.

عباد الله، اتقوا النار، فإن حرها شديد، قد ضوعفت على نار الدنيا كلها بتسعة وستين جزءا، يصلاها المجرمون، فتنضخ جلودهم، ويبدلهم الله جلودا غيرها ليذوقوا العذاب، كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها، عذابهم فيها دائم لا يفتر عنهم، وهم فيه مبلسون، يتكرر عليهم فلا يستريحون، ويسألون الخلاص منه ولو ساعة، فلا يجابون: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ**﴾. [سورة غافر، الآيتان: ٤٩، ٥٠]. فلن يستجاب لهم لأنهم، لم يستجيبوا للرسل حينما دعوهم إلى الله، فكان الجزاء من جنس العمل: ﴿**قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ * رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ**﴾. [سورة المؤمنون، الآيتان: ١٠٦، ١٠٧]. فيقول الله لهم على وجه الإهانة والإذلال: ﴿**اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ**﴾. [سورة المؤمنون، الآية: ١٠٨]. فحينئذ ييأسون من كل خير ويعلمون أنهم: ﴿**خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا * يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ**

**وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا﴾**. [سورة الأحزاب، الآيتان: ٦٥، ٦٦]. فلا تزهد في البعد عن النار، ولا تستهن بطيب الجوار، واطلع بقلب فارغ إلى الجنة... إلى انفساح سعتها وبرد طيب نسيمها، وإلى طيب ما يفوح من روائحها، وإلى حسن بناء قصورها، وبهجة حليها، وحريرها، وتلألؤ نورها على أسرتها وحجالها، وحسن وجوه أهلها، ونضرة النعيم على وجوههم، وقربهم من مليكهم، ويقينهم برضا الله ــ عز وجل ــ عنهم، ثم أشرف بوجه قلبك على دار الهوان، والخزي، وإلى قبيح صور المعذبين فيها، والنيران ملتهبة من فوق رؤوسهم، وأسافل أقدامهم، وإلى حياض الحميم تفور مُعَدَّة بشدة عطشهم، وبقوا بالغم والكرب لا يتنفسون إلى حلول غضب الله عليهم.

فانظر عواقب من أطاع واتقى، وعواقب من أساء وعصى، قارن بين هؤلاء وهؤلاء، وازن بين النعيم والعذاب، وبادر أمرك في الدنيا وتأمل قوله ــ تعالى ــ: **﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾**. [سورة الحشر، الآية: ٢٠].

وأين تلك الدرجات من تلك الدركات؟.

هنا جنات خالدين فيها، وهناك نار جهنم خالدين فيها، هنا روح وريحان وجنة نعيم، وهناك سلاسل وأغلال وسعير وسقر، هنا مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وذلك من النعيم، وهناك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على

قلب بشر، من الجحيم وأصناف العذاب، "ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار".

* * * * *

## نصائح على طريق الجنة

- أقبل على الله ــ تعالى ــ بإخلاص وأفرده ــ سبحانه ــ بالعبادة، والدعاء، وطلب الأرزاق والحاجات ولا تشرك معه غيره.
- تقرب إلى الله تعالى ــ بما افترض عليك من صلاة وتزينها بالخشوع، وزكاة مطهرة، وصيام الأتقياء، وحج مبرور، وعمرة صالحة.
- اتبع رسولك، ﷺ ، في كل الأمور، وسر في حياتك كلها على منهاجه، يمنحك ربك الهداية والفلاح، وتكون ممن يشفع فيه يوم القيامة.
- سابق وسارع إلى التوبة النصوح، والأعمال التي تقربك من مولاك، ولا تسوِّف فإن القلوب سريعة التحول.
- استحضر عظمة الله دائما، وراقبه في كل الأحوال، واعلم أنه ــ سبحانه ــ مطلع عليك فلا يجدنك حيث نهاك، ولا يفتقدنك حيث أمرك.
- اتهم نفسك دائما بالتقصير، ولا تزك لنفسك عملا، ولا تظهر عملا عملته في الخفاء.
- ليكن لك ورد قرآني كل يوم ــ على الأقل ــ جزء من كتاب الله ــ تعالى ــ، فإن منزلتك في الجنة عند آخر آية تقرؤها.
- ليكن لسانك دائما رطبا بذكر الله ــ تعالى ــ، وحافظ

على أذكار الصباح والمساء، فإن أقرب الناس إلى الله ــ تعالى ــ الذاكرون الله كثيرا والذاكرات، والذي لا يذكره ــ تعالى ــ فهو والميت سواء.

- أحبب في الله؛ وأبغض في الله، فتلك أوثق عرى الإيمان.
- كافئ على المعروف؛ ولو بكلمة طيبة.
- أحبب للمؤمنين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، وأد الحقوق كاملة، وأسأل الله الذي لك.
- كن هينا، لينا، متواضعا للمؤمنين، شديدا على الكافرين الظالمين.
- اذكر الموت دائما واستحضر ساعة النزول إلى القبر، وتخيل الحشر والحساب، والميزان، والصراط، والجنة والنار، وأعد لذلك اليوم عدته المناسبة.
- ابك على خطيئتك، وألزم نفسك مجالس الخير من ذكر الله ــ تعالى ــ وحلقات العلم وقراءة القرآن.
- زر المرضى، واتبع الجنائز، وأفش السلام، وغبر قدمك دائما في سبيل الله.
- ليكن لك مع الله ــ تعالى ــ وقفة بالليل تناديه، وتناجيه، وتسأله ــ سبحانه ــ من مفاتح رحمته، وليكن بالنهار مع الله صوم وذكر وتسبيح.
- ادع إلى الخير، وأمر بالمعروف؛ وانه عن المنكر، وليكن

الصبر دائما رائدك في كل الأمور.

- تطلع دائما إلى الجهاد في سبيل الله، وحدث نفسك به، فهو ذروة سنام الإسلام.
- زر القبور فإنها تذكرك الآخرة، وصل ذوي القربى، وارحم الضعفاء.
- أطب مطعمك، وتحر الحلال، فإن الله ــ تعالى ــ طيب لا يستجيب إلا للطيبين، ولا يرحم إلا الطاهرين.
- لا تجلس في مواطن التهم والريبة، وانظر من تجالس، فإن المرء على دين خليله.
- نزه لسانك عن الكذب والغيبة والنميمة، والطعن في الناس والفحش في القول، فإن الله لا يحب الفاحش البذيء.
- حافظ على بصرك واحبسه عن النظر المحرم؛ ولا تتبع عورات الناس، ولا تجعله يدور على الناس حسدا وطمعا.
- لا تسع إلا في حلال، أو في مرضاة الله ــ تعالى ــ ولا تمدن يدك بطشا واعتداء على خلق الله.
- لا تحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله، وانظر إلى من هو دونك، فإن ذلك أحرى ألا تزدري نعمة الله عليك.
- انظر إلى من هو أنشط منك في العبادة، وسارع بالأعمال الصالحة فالمؤمن لا يرضى حتى يكون مستقره الجنة.
- عش دائما بين الخوف والرجاء ومَنِّ نفسك بالجنة

وزكها بالأعمال الصالحة، واعلم أن لكل عمل أجره حتى تنشط في القيام بالأعمال، وانظر إلى كل ما سواها على أنه سراب، فإن حقيقة الجنة لا يعلمها إلا الله ـ تعالى .

واعلم أنه إذا فاتتك الجنة، فقد فات كل شيء، وإن ملكت الدنيا، وما عليها وإنك إن أحرزت الجنة، فقد فزت بكل شيء، وإن كنت في هذه الحياة صفرا من كل شيء.

* وهذا هو الطريق أيها السائرون!

فإلى دار النعيم التي عرفها لكم: وهذا هو طريقها واضحا، معبدا عليه أعلامه، وفوقه أنواره، وها أنتم في مبتداه، فسيروا حثيثا إلى منتهاه، حيث أبواب الجنة مفتحة أيها السالكون!!

إليكم الطريق كما رسمه رسول الله، ﷺ ، في قوليه:

١- «**تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك**».

٢- «**كلكم يدخل الجنة إلا من أبى، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ فقال: من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى**». إنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ في هذين الحديثين قد بين الطريق ورسمه واضحا لكل ذي بصيرة، فهلم أيها الإخوان لنسير سويا، إخوانا متحابين، وأصدقاء متعاونين، فهيا بنا هيا بنا!!.

**أخي المسلم أخي الكريم:**

قد يكون ما مضى كلاما جميلا، ونصائح مهمة، ولكن ذلك

كله سيبقى حبرا على ورق، ما لم ينقل إلى حيز التنفيذ، ويـــدخل عالم الواقع، فهيا إلى اتباع النصح بالقبول، والقول بالعمـــل، والله معكم ولن يتركم أعمالكم.

* * * * *

## وختامًا

أخي المسلم:

إني أُناديك إلى نعمة الهداية، ولذة الطاعة، عجل يا أخي الحبيب بالتوبة، مادام بابها مفتوحا، عجل ولا تؤجل فإن الأمر جد كل الجد، وإن للتوبة بابًا لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها[١]. وينادي الله: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا، فاستغفروني أغفر لكم**»[٢]. فهلا استغفرت والله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل[٣]. والله لا يتخلى عن عبده إذا جاء مقبلا عليه، تائبًا إليه، والله يحب الاعتذار، فهلا أقبلت والله يفرح إذا تاب العبد وأقبل إليه. قال، عليه الصلاة والسلام: «**الله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك، إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك! أخطأ من شدة الفرح**»[٤].

واعلم ـــ يا أخي ـــ أن الذنب يحدث للتائب الصادق انكسارا وذلة بين يدي الله ـــ تعالى ـــ وأنين التائبين محبوب عند

(١) رواه مسلم (٢٧٦٠).
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم (٢٧٥٩.
(٤) رواه مسلم.

الله، ولا يزال العبد المؤمن واضعا ذنبه نصب عينيه، فيحـــدث لـــه انكسارا وندما، فيعقب الذنب طاعات وحسنات كثيرة، حـــتى إن الشيطان ربما يقول: يا ليتني لم أوقعه في هذا الذنب، ولذلك فـــإن بعض التائبين قد يرجع بعد الذنب أحسن مما كان قبلـــه، بحســـب توبته، وتأمل هذه القصة التي ذكرها صاحب كتاب: «**العائـــدون إلى الله**». وهي: أن شابا توفي أبوه، فأصبحت أمه تســـهر علـــى رعايته وتربيته، وتشتغل بالخدمة في بيوت الجيران لكي تجمـــع لـــه ولإخوانه المال. فلما كبر هذا الشاب سافر للدراسة في الخارج، ثم عاد يحمل شهادة عالية، ولكن بعد أن غسل دماغـــه، وانحرفـــت أفكاره، وتغيرت أخلاقه، ونسي فضل الأم، فلمـــا أراد الـــزواج، عرضت عليه أمه فتاة طيبة صالحة، لكنه لم يقبلها، وانطلق يبحـــث عن فتاة من بيئة مترفة، وبالفعل تزوج فتاة من هذا النوع، وأسكنها مع أمه في البيت، وبعد ستة أشهر من الزواج دخل البيـــت يومـــا فوجد زوجته تبكي، فسألها عن سبب بكائها، فقالت: لا أســـتطيع البقاء مع أمك في هذا البيت، لا أطيق الصبر عليها أكثر من ذلك. يقول هذا الشاب: فغضبت غضبا أنساني حق أمي، فطردت أمـــي من البيت، فغادرت وهي تلتفت إلي وتقول: يا ولدي أسعدك الله. يا ولدي أسعدك الله.

يقول الشاب: وبعد أن ذهب عني الغضب، وعاد إلي شعوري، ذهبت أبحث عن أمي فلم أجدها، فرجعت إلى البيت، واستطاعت زوجتي بذكائها وجمالها أن تنسيني أمي الغالية فانقطعت أخبارهـــا عني.

وبعد فترة أصبت بمرض خبيث، دخلت على إثره المستشفى، فلما علمت أمي بذلك جاءت تزورني في المستشفى، وكانت زوجتي عندي، فقابلت أمي عند الباب وقالت لها ارجعي، ابنك ليس هنا، ماذا تريدين منا؟ اذهبي عنا، نحن لا نريدك، فخرجت أمي من المستشفى، وبعد مدة خرجت من المستشفى، وما لبثت صحتي أن تدهورت مرة أخرى فعدت إلى المستشفى، وفقدت وظيفتي، وتراكمت علي الديون، وتخلى عني أصدقائي، وهرب الناس من حولي، وفي يوم من الأيام قالت لي زوجتي: أنا لا أريدك طلقني.. ليس لك وظيفة، ولا مكانة في المجتمع، فأنا لا أريدك، يقول: فكانت تلك صفعة شديدة علي، لكني كنت أستحقها فعلا، لقد أيقظتني من السبات الذي كنت فيه.. خرجت أهيم على وجهي، وأبحث عن أمي، وفي النهاية وجدتها.. لكن أين؟. في أحد الأربطة تعيش على صدقات المحسنين، وقد أثر فيها البكاء، فبدت شاحبة ضعيفة، وما أن رأيتها حتى ألقيت بنفسي عند رجليها، وبكيت بكاء مرا، وما كان منها إلا أن شاركتني في البكاء، واختلطت أصواتنا، وظللنا على هذا الحال ساعة أو أكثر ثم أخذتها معي إلى البيت وآليت على نفسي أن أطيعها ما حييت، يقول: وأنا الآن أعيش أحلى وأسعد أيامي مع حبيبة العمر: أمي ــ حفظها الله .

**وختاما للحديث عن التوبة:**

روي أن أحد الصالحين كان يسير في بعض الطرقات، فرأى بابا قد انفتح وخرج منه صبي يستغيث ويبكي، وأمه خلفه تطرده حتى خرج فأغلقت الباب في وجهه ودخلت، فذهب الصبي غير

بعيد، ثم وقف مفكرا فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أخرج منه، ولا من يؤويه غير والدته فرجع مكسور القلب حزينا فوجد الباب مغلقًا فتوسده ووضع خديه على عتبة الباب ونام ودموعه على خديه، فخرجت أمه بعد حين، فلما رأته على تلك الحال لم تملك إلا أن رمت بنفسها عليه والتزمته وهي تبكي وتقول: يا ولدي أين ذهبت عني ومن يؤويك سواي، ألم أقل لك لا تخالفني ولا تحملني على عقوبتك، بخلاف ما جلبني الله عليه من الرحمة بك والشفقة عليك، ثم أخذته ودخلت، ولكن الرسول ﷺ يقول: «**الله أرحم بعباده من هذه بولدها**»(١).

فأين تقع رحمة الوالدة من رحمة الله التي وسعت كل شيء؟، والله لن يتخلى عن عبده إذا جاءه يسعى مقبلا إليه.

أرأيت لو أن ولدا كان يعيش في كنف أبيه يغذيه بأطيب الطعام والشراب ويلبسه أحسن الثياب، ويربيه أحسن التربية، ويعطيه النفقة، وهو القائم بمصالحه كلها، فبعثه أبوه يوما في حاجة، فخرج عليه عدو في الطريق، فأسره وكتفه وشد وثاقه ثم ذهب به إلى بلاد الأعداء، وصار يعامله بعكس ما كان يعامله به أبوه فكان كلما تذكر تربية أبيه، وإحسانه إليه المرة بعد المرة، هيجت من قلبه لواعج الحسرات، وتذكر ما كان فيه من النعيم، فبينما هو في أسر عدوه يسومه سوء العذاب ويريد ذبحه في نهاية المطاف، إذ حانت منه التفاتة نحو ديار أبيه، فرأى أباه منه قريبا فسعى إليه وألقى بنفسه

(١) رواه مسلم.

عليه وانطرح بين يديه، يستغيث يا أبتاه! يا أبتاه! انظر إلى ولـــدك وما هو فيه، والدموع تسيل على خديه، وهو قد عانق أباه والتزمه، وعدوه يشتد في طلبه حتى وقف على رأسه وهو ملتـــزم لوالـــده ممسك به، فهل تقول إن والده سيسلمه في هذه الحال إلى عـــدوه ويخلي بينه وبينه؟

فما ظنك بمن هو ارحم بعبده من الوالد بولده، ومن الوالـــدة بولدها، إذا فر عبد إليه، وهرب من عدوه، وألقى بنفســـه طريحـــا ببابه، يمرغ خده في ثرى أعتابه، باكيا بين يديه، يقـــول: يـــا رب ارحم من لا راحم له سواك فقيرك وسائلك، أنت معـــاذه وبـــك ملاذه، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، «**اللهم أنت ربي لا إلـــه إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت**»[1].

أخي يقول الله ـــ تعالى ـــ: ﴿**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّـــذِينَ أَسْـــرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**﴾[2]. [سورة الزمر، الآية: ٥٣].

فيا أخي المسلم، إني لك محب، وعليك مشفق، ولك ناصـــح،

(١) رواه البخاري، وفي هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أن يسمى به ـــ سيد الاستغفار.

(٢) وهذه الآية في حق التائبين، وفيها نهي عن القنوط من رحمة الله ـــ تعالى ـــ وإن عظمت الذنوب، وفيها دليل على سعة رحمة الله ـــ تعالى ، وفيها دعوة لجميع العصاة من الكفرة وغيرهم إلى التوبة والإنابة ، وإخبار بأن الله تعالى يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها وهو التواب الرحيم.

فهيا إلى فعل الخيرات، وكسب الحسنات، ورفقة الصالحين، واحذر الزيغ بعد الرشاد، والضلالة بعد الهداية، رحمني الله وإياك.

نسأل الله أن يوفقنا للتوبة النصوح، مادامت التوبة ممكنة، وبابها مفتوحا، والله أسأل أن يحييني وإياك الحياة الطيبة حياة السعداء، ويوفق عامة المسلمين، ويأخذ بأيديهم، ويهدي شبابهم، ويتوب على تائبهم، وأن يغفر لنا ذنوبنا جميعا، ويرزقنا الصبر، واليقين حتى نقضي هذه الحياة الدنيا فيما يحبه الله ــ تعالى ــ ويرضاه.

والسلام عليك ــ أخي الحبيب ــ ورحمه الله وبركاته، وأستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلوات الله وسلامه على خير خلقه وأنبيائه، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه، وأتباعه إلى يوم الدين.

**الفقير إلى عفو الله ورحمته**

**أخوكم**

**حسن صابر حسن سليمان**

**الرياض ــ ص.ب ٩٠٩٩٠**

* * * * *

# فهرس كتاب مسالك السعادة

❋ ❋ ❋